وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

رقم: .....

ميدان: التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر أكاديمي

تحت عنوان:

إيالة الجزائر بين الموارد البحرية والضرائب 1519م-1830ه

إعداد الطالبة

ضيف رانية

إشراف الدكتورة

د. يمينة بن رحال

السنة الجامعية: 2021-2022

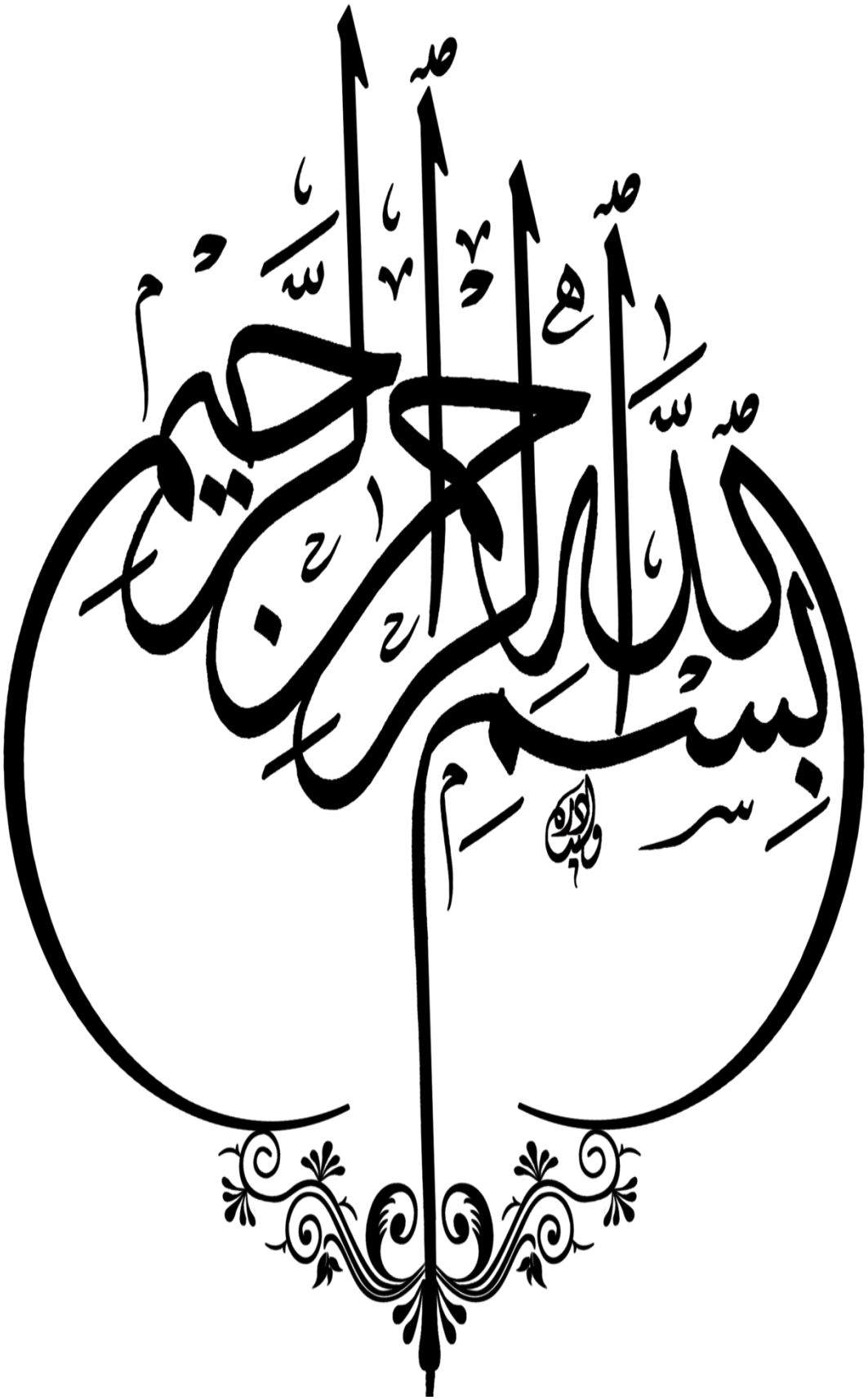

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

"الحمد لله شكرا وامتنانا وإقرارا بفضله واعترافا بعظيم كرمه الحمد لله ليلا ونهارا، سرا وجهارا، الحمد لله ملء كل شيء.

الحمد لله الذي وفقني في إنجاز هذا العمل وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين.

أتوجه بجزيل الشكر إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل سواء من قريب أو بعيد، وخالص الشكر إلى الأستاذة الفاضلة **يمينة بن رحال**

التي قدمت بتوجيهاتها ونصائحها القيمة التي
كانت حافزا في إتمام هذا العمل فجزاها الله كل الخير وزادها علما وبركة

إهداء

الحمد لله الذي وقفني أولا وأخرا

الحمد الله الذي أمدني بالقوة والصبر لإتمام هذا البحث

أهدي ثمرة جهدي وعملي هذا إلى الوالدين الكريمين لمن قال عنهما

سبحانه وتعالى في قوله "وقضى ربك ألا تعبد إلا إياه وبالوالدين إحسانا"

سورة الاسراء الآية 23

إلى نبع الحنان وبهجة الدنيا وريحانها إلى مدرستي في الحياة إلى التي كفحت وسهرت وتعبت لأجلي إلى التي كرمها الله سبحانه وتعالى وجعل الجنة تحت أقدامها إلى نور عيون أمي الحنونة "فطيمة ضيف" إلى معلمي في النضال والكفاح والجهاد ي الحياة

إلى رمز العطاء إلى الذي رباني على الأخلاق والحياة أبي الغالي "أحمد ضيف"

إلى الذين كانوا السند لي ومنحوني القوة وتوفير ما أحتاجه إخوتي "هشام، بلال وحسام الدين" إلى أخواتي العزيزات "سناء، رباب"

إلى كتكوت العائلة الصغير "جهاد"

إلى زوجاتي أخوتي "كريمة وراحلة"

كذلك إلى الذين منحوني الدعم النفسي والمحبة الخاصلصة من قلوبهم أشكرهم أنهم كانوا بجانبي برغم بعد المسافات إلا أنهم كانوا خيرة سند وقوة لي أحبهم

إلى صديقاتي الذين كانو إخوتي التي جمعتني بهم الحياة الجامعية وتقاسمت معهم كل شي بحلوها ومرها طوال هذه السنوات الخمس وأخص بالذكر نورة شرقي أحلام ماضوي فتيحة عبد الجبار فايزة بن مداني وإكرام بن مداني وإلى كل الطلبة الكرام

إلى كل من نسيهم قلمي ولم ينسهم قلبي إلى كل من ساهم ي إتمام عمل بحثي المتواضع أرجو أن يكون بحثي هذا خالصا لوجه الله وأن يكون فيه فائدة تكون عونا لمن قرائه

وفي الأخير الصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

إهداء

فهرس المحتويات

الملخص VIII

مقدمة ..... أ-هـ

الفصل التمهيدي

الغزو الاسباني للجزائر والتواجد العثماني

أولا: دوافع الغزو الاسباني لمدن السواحل الجزائرية 7

ثانيا: الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية 20

ثالثا: التواجد العثماني في الجزائر (1519-1830م) 30

رابعا: تحرير بعض المدن للسواحل الجزائرية 39

الفصل الأول

الأسطول البحري ونشأته

المبحث الأول: النشأة والتطور 55

أولا: نشأة البحرية الجزائرية 55

ثانيا: بداية نشاط البحرية الجزائرية 59

ثالثا: تطور البحرية الجزائرية 64

رابعا: عوامل قوة البحرية الجزائرية 66

خامسا: رياس البحر 68

المبحث الثاني: النشاط البحري وموارده 70

أولا: عمل النشاط البحري في الجزائر 70

ثانيا: أهم موارد العوائد البحرية 71

المبحث الثالث: النشاط البحري وأثره في اقتصاد الجزائر خلال العهد العثماني 81

أولا: أثر عوائد النشاط البحري على اقتصاد الإيالة 81

ثانيا: أثر العوائد في إثراء الخزينة 83

الفصل الثاني

النظام الضريبي في الجزائر خلال العهد العثماني

المبحث الأول: السياسة الضريبية وأنواعها 86
أولا: السياسة الضريبية 86
ثانيا: أنواع الضرائب 88
ثالثا: طرق تطبيق جباية الضرائب 93
المبحث الثاني: أثر السياسة الضريبية على الحياة الاقتصادية والاجتماعية 99
أولا: أثر السياسة الضريبية على الحياة الاقتصادية 99
ثانيا: أثر السياسة الضريبية على الحياة الاجتماعية وردود الأفعال 102
خاتمة 107
قائمة المراجع 110

الملخص

عرفت بلاد المغرب العربي بداية القرن 10 / 16 م تطورات مهمة في تلك الفترة إذ غيرت الأحداث السياسية لمنطقة بعد أن شهدت بلاد المغرب الأوسط حملات صليبية ضدها، مما كانت هذه الحروب من أبرز الأحداث إذ غيرت موازين الأحداث إذ قام سكان منطقة المغرب الأوسط باللجوء إلى الاستنجاد بالإخوة بربروس الذين شاع صيدهم في تلك الحقبة وبعد أن تم الاستنجاد بهاذان الإخوة وبذلك بعد كل هذه الأحداث المتعاقبة تم ربط وإلحاق بلاد المغرب الأوسط بالسلطة العثمانية إذ أصبحت تحمل لقب إيالة الجزائر وذلك منذ سنة 925 هـ/ 1519 م إذ بدورها تعاقبت معها مختلف الأحداث لمختلف الجوانب وتعلق ذلك بقوة أسطولها في البحر الذي مثل للجزائر قوة وهيبة في تلك الفترة خاصة في حوض البحر الأبيض المتوسط وبذلك فقد عرفت البحرية الجزائرية اتساع نشاطها في البحر خلال القرن 10/ 17م إذ مثل هيبتها وسلطتها في البحر وبذلك أدى تطور نشاط البحرية للجزائر وبروز الغزو البحري الذي مكن تطورا بحريا الجزائرية إلى تطوير اقتصاد الايالة في تلك الفترة، إذ أن الموارد البحرية كانت أهم مصدر للاقتصاد منها الغنائم البحرية خاصة خلال القرنين 18/17 م

إذ شكلت بذلك عائدات مالية من إفتداء الأسرى المسيحين بالجزائر الذي أعتبر موردا هام لإنعاش الخزينة الجزائرية لكن رغم أن البحرية قد عرفت انتعاش في مواردها المختلفة إلا أنها في أواخر القرن الثامن عشر عرفت تراجع ملحوظ خاصة في إثراء الخزينة، وبذلك كان لا بد على السلطة أن تجد حل آخر لتوفير وزيادة في مخزون الخزينة الذي تراجع مخزونها في القرن 18 م

مما أوجدت السلطة موردا ومدخول آخر ألا وهي الضرائب التي لم تجد حل غيرها وفرضها على أهالي الإيالة مما نتج عن فرض هذه الضرائب عدة ردود من قبل الأهالي الجزائرية ولك هذه المتغيرات أدت إلى تراجع قوة الدولة العثمانية في الجزائر.

الكلمات المفتاحية: البحرية الجزائرية، ايالة، الموارد البحرية والضرائب.

Summary

The Maghreb countries experienced important developments at the beginning of the 10th/16th century, changing the political events of the region after the Maghreb witnessed crusades against it, which was one of the most prominent events as it changed the balance of events as the inhabitants of the Middle Maghreb region resorted to the appeal of the Barbaros brothers who were popularized in that era and after these brothers were appealed and thus after all these successive events the Countries of the Middle Maghreb were linked and attached to power The Ottoman Empire has been the title of The Eilah of Algeria since 925 Ah / 1519 AD, in turn, with which various events have been followed by various aspects and related to the strength of its fleet in the sea, which represented Algeria's strength and prestige at that time, especially in the Mediterranean basin, so that the Algerian Navy knew the expansion of its activity at sea during the 10th/17th century, representing its prestige and authority at sea, thus leading to the development of the navy's activity to Algeria and the emergence of the naval invasion that enabled the development of the Algerian navy, which enabled the development of the Algerian navy. To develop the economy of the Yala in that period, as marine resources were the most important source of the economy, including marine spoils, especially during the 17th/18th century

This constituted financial returns from the creation of Christian prisoners in Algeria, which was considered an important resource for the recovery of the Algerian treasury, but although the Navy experienced a recovery in its various resources, in the late 18th century it experienced a marked decline, especially in the enrichment of the treasury, so the authority had to find another solution to provide and increase the treasury stock, which declined in the 18th century .

This created another resource and income, namely taxes that were not solved and imposed on the people of The Aya, resulting in several responses from the Algerian people, but these variables led to the decline of the power of the Ottoman Empire in Algeria.

Keywords: Algerian Navy, Iala, Maritime Resources and Taxes.

مقدمة

مقدمة

يعتبر العهد العثماني من أهم العهود الذي عرفه تاريخ الجزائر الحديث، قد عمر ما يزيد عن ثلاثة قرون، وشهدت الجزائر خلال هذه الفترة حروب صليبية على سواحلها مما عجل بالاستنجاد بالعثمانيين خلال ق 16م. الذين ذاع صيتهم وكانوا أصحاب قوة وهيبة في تلك الحقبة، ولقد ارتبط بعد ذلك اسم الجزائر بالدولة العثمانية حتى نهاية القرن 19م، غير أن اهتمام الدارسين بالتاريخ في الفترة الحديثة تمحور حول التاريخ السياسي والاجتماعي والعسكري حيث أهملوا الجانب الاقتصادي، الذي يعد من أهم الموارد التي ساهمت في اثراء خزينة الدولة .

لقد برزت أهمية الجزائر الإستراتيجية خاصة في البحر المتوسط عبر الفترة الحديثة مما سمح لها بتطوير جهازها البحري، وبروز مكانتها الدولية في المنطقة وتطور قوة اقتصادها خاصة في مؤسستها البحرية.

ومن هذا السياق يندرج موضوع دراستنا حول: إيالة الجزائر بين موارد البحرية والضرائب 1519-1830م.

أسباب اختيار الموضوع

اختيارنا لهذا الموضوع مبني على مجموعة من الأسباب ومن أهمها ما يأتي:

- الرغبة في التعرف على المرحلة التي دخلت فيها الجزائر تحت لواء الحكم العثماني في الفترة الحديثة وأهم الأحداث التي برزت في هذه الحقبة.
- حب البحث والاطلاع في الفترة الحديثة لأجل التعرف أكثر عن الموارد البحرية التي برزت قوة الجزائر في الجانب الاقتصادي.

- قلة اهتمام الباحثين والدارسين حول الجانب الاقتصادي خلال الفترة العثمانية حيث كانوا يركزون على الجانب السياسي والاجتماعي والعسكري.

- تسليط الضوء على جانب من جوانب الحياة الاقتصادية للجزائر خلال الحكم العثمانية.

- **أهداف دراسة الموضوع**

- حاولنا أن نتعمق أكثر وإعطاء صورة لدراستنا للجانب الاقتصادي للإيالة الجزائرية من خلال مواردها البحرية وبروز النظام الضريبي في تلك الفترة.

- أما فيما يخص الإطار الزماني للبحث فكان من بداية القرن 17، إلى أواخر القرن 18م من الفترة الممتدة من 1919م إلى 1830م، ومنه برزت لنا مرحلة دخول الجزائر تحت الحكم العثماني وبروز مكانة الجزائر في البحر من خلال موارد البحرية الجزائرية.

الإشكالية:

إن بروز قوة الإيالة الجزائرية خلال العهد العثماني قد طورت قواها في المجال الاقتصادي خاصة في موارد النشاط البحري. فإلى أي مدى ساهمت الموارد البحرية في إثراء اقتصاد الدولة؟ وكيف كانت تتم عملية جباية الضرائب؟

تفرعت عنها مجموعة من التساؤلات فتمثلت فيما يلي:

- كيف كانت أوضاع الجزائر مع بداية القرن 16م؟
- ما هي أهم الموارد البحرية التي عرفتها الجزائر؟
- كيف ساهمت في تطوير اقتصاد الإيالة؟

- ما هي العوامل التي أدت في بروز نظام الضرائب؟

هيكل الدراسة:

للإجابة على الإشكالية العامة والتساؤلات الفرعية قسمت البحث الى مقدمة وفصل تمهيدي وفصلين ثم الخاتمة وملاحق لها علاقة بالموضوع من أجل إثرائه، ففي المقدمة تناولت التعريف بالموضوع ثم تطرقت إلى دواعي إختياره وطرحت الإشكالية ثم تطرقت إلى خطة العمل ثم المنهج المتبع وأهم المصادر والمراجع المعتمد عليها بعدها إلى أهم الصعوبات التي واجهتني خلال عملية البحث.

فالفصل التمهيدي جاء تحت عنوان: الغزو الاسباني للجزائر والتواجد العثماني بها، جاء فيه دوافع الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية والتواجد العثماني إضافة إلى تحرير العثمانيين بعض المدن الساحلية الجزائرية.

أما الفصل الأول فقد جاء عنوان: الأسطول البحري الجزائري، يشمل المبحث الأول: نشأة البحرية الجزائرية، وعوامل القوة البحرية الجزائرية، أما العنصر الذي يليه فهو النشاط البحري وأهم موارده.

ثم تطرقنا في الفصل الثاني الذي جاء تحت عنوان: النظام الضريبي في الجزائر خلال العهد العثماني وقد احتوى على عنصرين العنصر الأول السياسة الضريبية وأنواعها أما العنصر الثاني أثر السياسة على الحياة الاقتصادية والاجتماعية وردود الأفعال حول هذه السياسة.

المنهج:

ولقد اعتمدنا في دراستنا في هذا البحث على المنهج التاريخي الوصفي المناسب لسرد الاحداث التاريخية ووصفها، إضافة إلى المنهج التاريخي التحليلي.

أهم المصادر والمراجع:

نظرا لأهمية الدراسات السابقة في إعداد أي بحث وكأي دراسة اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع التي ساهمت في توجيه بحثنا منها: **أحمد الشريف الزهار**، في كتابه **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب اشراف الجزائر**، الذي يعتبر مصدرا ملما بمجموعة من عناصر بحثنا، كذلك **وليام شالر** في كتابه **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر**.

بالإضافة إلى مجموعة من المراجع والتي نخص بالذكر منها **ناصر الدين سعيدوني** في كتابه **النظام المالي**، الذي كان مرجعا مهم جدا في الإحاطة بموضوع الضرائب، كذلك **أبو القاسم سعد الله** في كتابه **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال**.

بالإضافة الى مجموعة من المذكرات نذكر منها: مذكرة ماجستير للطالب **عطلي محمد الأمين** بعنوان **نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية المركز الجامعي بغرداية**.

ومذكرة دكتوراه للطالب **الهاشمي بن براهيم** بعنوان **قبائل وهران والاحتلال الاسباني جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر**.

صعوبات دراسة الموضوع:

وأي عمل بحثي لا يخلو من الصعوبات والعراقيل أهمها: صعوبة الترجمة، إضافة إلى صعوبة الحصول على المصادر الأجنبية، وضيق الوقت، كذلك صعوبة التنقل الى المكتبات والجامعات قصد الحصول على مادة علمية تفيدنا في موضوع بحثنا.

ورغم ذلك حاولنا الإحاطة بالموضوع إذ تطرقنا لأهم النقاط قدر المستطاع، لأن البحث يحتاج إلى مزيد من الإثراء أكثر والدقة في جمع المعلومات.

وفي الأخير تم بحمد الله تعالى إنجاز هذا الموضوع ونحمد الله حمدا كثيرا في تيسيرنا لإنجاز بحثنا هذا.

الفصل التمهيدي

الغزو الاسباني للجزائر والتواجد العثماني

أولا: دوافع الغزو الاسباني لمدن السواحل الجزائرية

كانت اسبانيا مندفعة بحماسها بعد سقوط غرناطة إذ اغتنمت فرصة ضعف دولتي **بني حفص** و**بني الزيان**، إذ شرعت اسبانيا في احتلال منطقة شمال إفريقيا خاصة المدن الساحلية للجزائر[1]، ولذلك لابد الحديث عن دوافع الهجمة الاسبانية على مدن السواحل الجزائرية ونذكر بذلك الدوافع منها الاقتصادي و التجاري مع التقليل من أهمية الدافع الديني وقد لا نجد له ذكر في الكتابات الغربية، وقد يفسر ذلك نظرة الغرب للكنيسة أو الدين ودورها في انحطاط أوروبا طيلة القرون الوسطى بممارسة ورعاية النظام الإقطاعي وانعكاساته اجتماعيا وفكريا على الخصوص، إذ كان ظهور المدن وازدهار النشاط التجاري والعمراني، الذي تزامن مع الكشوفات منذ النصف الثاني من القرن 15م، وبداية عصر النهضة باعتبار الثروة والمال هما الوسيلة الأولى للتغير والمحرك والموجه لكل المشاريع بما في ذلك التوسع الاستعماري[2].

وللحديث عن الدوافع المحركة للغزو الاسباني على السواحل الجزائرية التي لم تكن صدفة وإنما كانت نتيجة تراكم عدة أسباب ودوافع التي دفعت بالاحتلال الاسباني على شن هجمات على المدن الجزائرية الساحلية، ولقد كانت هذه الهجمات الصليبية نتيجة عدة أسباب ودوافع يمكن تقسيمها إلى الآتي[3]:

---

[1] خلوفي بغداد، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ألقيت على طلبة السنة الثانية ليسانس تاريخ عام، سنة 2016، المركز الجامعي نور البشير، البيض، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، ص6.

[2] نجيب دكاني، الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال ق10هـ-16م، شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2002، ص17-18.

[3] أسماء ابلالي، التحرشات الاسبانية على السواحل خلال القرن 10هـ/16م، مجلة روافد البحوث والدراسات، العدد الثاني، 2017، جامعة أدرار، ص35.

1-الدوافع الدينية:

نظرا للعداوة والحقد الدفين للنصارى للمسلمين ما بين الإسلام والنصرانية والتي ترجع في تاريخها إلى بداية الدولة المحمدية، مع انتشار الإسلام في كل أقطار العالم ولقد غذى هذا الصراع التعصب الديني الذي دعا إليه رجال الدين االمسيحي من قساوسة ورهبان، حيث أشعلوا الحماس الصليبي لدى الجموع الأوروبية عامة والاسبانية خاصة لمحاربة الدين الإسلامي والمسلمين فقد دعا البابا "اسكندر السادس" من مدينة روما بأن تسخر البلاد المسيحية طاقاتها المالية والبشرية تحت تصرف ملوك اسبانيا لإبعاد المسلمين عن الأندلس، وإخضاع شمال إفريقيا للحكم المسيحي وللديانة المسيحية[1].

كما عمل الباباوات على تزويد الجيوش المسيحية بالمال والعتاد فاستجابت اسبانيا للنداء لكونها زعيمة العالم المسيحي، وحامية المسيحية آنذاك بعد سقوط الإمبراطورية البيزنطية على يد العثمانيين سنة 1453م، وضعف سلطة البابا في روما بفعل ظهور حركة الإصلاح الديني في أوروبا[2].

وكللت هذه الاستجابة بالمصاهرة التي تمت بين الملك "**فرديناند**"[3]. الكاثوليكي الذي كان حاكم أرغون والملكة "**إيزابيلا**"[4]. وارثة عرش **قشتالة** وبهذا توحدت اسبانيا

---

[1] أسماء ابلالي، المرجع السابق، ص36.

[2] الإصلاح الديني: هو ثورة دينية قامت في أوروبا الغربية في القرن 16م بدأت بشكل حركة إصلاحية في الكنيسة الكاثوليكية ولكنها تحولت إلى حركة عقائدية عرفت بالبروتستانتية، أسماء ابلالي، المرجع السابق، ص36.

[3] فرديناند الخامس الكاثوليكي: من موالدي سوز (1516-1452م) تولى الملك سنة 1474م اشتهر بأنه سياسي عنيد وجريء تزوج إيزابيلا ملكة قشتالة ووحد كل شبه الجزيرة الإيبيرية مما ساعده على القضاء على مملكة غرناطة عام 1492م، المرجع نفسه، ص37.

[4] إيزابيلا الأولى الكاثوليكية: ملكة قشتالة من مواليد مدريد (1504-1451) تزوجت من فرديناند ملك أرغون مما ساعد على توحيد اسبانيا عملت على إقامة محاكم للتفتيش وشجعتها لإبادة المسلمين ودعمت وزيرها أكزمينيس لإدارتها. ينظر: أسماء ابلالي، مرجع نفسه، ص37.

الكاثوليكية المسيحية عام 1479م، حاملة على عاتقها مهمة إزاحة وتمسيح بلاد شمال إفريقيا الإسلامية.

حققت المملكة الاسبانية في عام 1492م نجاحا كبيرا عندما سقطت غرناطة في يد المسيحيين، وفر آخر ملوكها إلى المغرب، وفي الواقع أن المسلمين هم الذين عجلوا بقرب نهايتهم في اسبانيا حيث اشتغلوا بمعاركهم الداخلية حول ولاية الحكم، ولقد اتسعت الحملات الصليبية الاسبانية في شمال إفريقيا، كما أن الهدف من هذه الهجمات لم يكن بهدف التوسع الإقليمي وامتداد النفوذ السياسي فحسب بل كان يهدف إلى التبشير بالدين المسيحي، ومحاولة نشره في البلدان التي يضع الإسبان عليها أيديهم، ومحاربة الأديان الأخرى بجمع الوسائل اعتقادا منهم أن في ذلك ما يوطد دعائم ملكهم ويبعدهم عن التعرض للانقلابات والثورات، كما يظهر الطابع الديني للتدخل الاسباني في المغرب العربي وذلك كما جاء في وصية الملكة **ايزابيلا** لابنتها قبيل وفاتها في سنة 1504م ،قالت بها: اني أرجو الأميرة ابنتي جين وزوجها فليب وآمرهما باطاعة وصايا أمنا المقدسة الكنيسة طاعة تامة، وأن يوكنا حماتها و المدافعين عنها حسبما يقتضي واجبهما، وأن يتما المهمة في فتح شمال إفريقيا ومحاربة الكفار في سبيل الإيمان[1].

كذلك الملك **فرديناند** توفي عام 1516م، إذ أوصى أولاده قبل وفاته بأن عليهم أن يعملوا على تحطيم أتباع الديانة المحمدية، كما كان التعصب الديني وراء اختيار **فرديناند** و**إيزابيلا** لقب الملكين الكاثوليكيين، وهذا ما يفسر التعصب الديني والرغبة الجامحة في محاولة تنصير المسلمين، وإبعاد حدود الإسلام خارج شبه الجزيرة الإيبيرية، وكان وراء

[1] إلهام يوسف، دوافع الاحتلال الاسباني للمغرب الأوسط "الجزائر" ما بين "1505-1518م"، مجلة جامعة نشرين للبحوث والدراسات العلمية، 2018، المجلد 4، ع1، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، اللانقية، سورية، ص339.

التحرشات الاسبانية والبرتغالية على سواحل شمال إفريقيا، في إطار الحرب الصليبية المقدسة، التي كان يغذ بها رجال الكنيسة الكاثوليكية[1].

لعب المستعمرين من رجال الدين الإسبان، وعلى رأسهم **الكاردينال خيمينيس**، دورا بارزا في إعداد الحملات الصليبية الاسبانية وتوجيهها[2]، ولقد خشي **الكاردينال خيمينيس** –الذي اشتهر بتعصبه الديني كما كان أبرز الدعاة إلى مواصلة الحرب ضد المسلمين في شمال إفريقيا– أن يكون سقوط غرناطة وفرار وفد من العرب والمسلمين من الأندلس، إيذانا بتوقف الهجومات ضد العرب والمسلمين. مما أثار مخاوف الملكة **إيزابيلا** التي عرفت أنها أشد تعصبا من الملك **فرديناند** إذ كانت مخاوفها من المسلمين الذين فروا إلى المغرب والجزائر وتونس، ولقد قام **الكاردينال خيمينيس** بإقناع الملكة **إيزابيلا** الذي لم يكن يصعب عليه إقناعها، إذ قال لها بضرورة نقل الحرب ضد المسلمين من الأندلس إلى شواطئ المغرب العربي في شمال إفريقيا، وذلك بحجة أن العرب والمسلمين لم يعتبروا خروجهم من الأندلس هزيمة نهائية، بل أخفوا سلاحهم وتظاهرهم فقط بالانهزام في انتظار الفرصة المواتية لينقضوا على الأندلس من جديد ويشهروا الحرب مرة أخرى على المسيحية، وأنه لابد من القضاء على أوكار القراصنة المسلمين في الشمال الإفريقي[3].

إن الحملات الاسبانية كان لها عدة أسباب دينية، فإن الرد على هذه الهجمات الصليبية كذلك لها أسباب دينية، حيث أن القرصنة[4] نشطت في تلك الفترة وتعتبر القرصنة

---

[1] إلهام يوسف، المرجع نفسه، ص343.

[2] محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث (من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي)، 1830–1518م، ط1، مكتبة دار الشرق، بيروت، (1979)، ص17.

[3] مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص20.

[4] القرصنة: هي نوع من أنواع الحروب البحرية التي تقع بين الدول المتعادية والتي كانت الغاية منها ضرب اقتصاديات العدو، وذلك بالاستيلاء على البضائع الصادرة منه والواردة عليه، وأسر من يعمل فوق ظهر تلك السفن المحادية، إذ تختلف عن لصوصية البحر التي يقوم بها مغامرون من أجل السلب والنهب إذ انتشرت القرصنة بشكل هائل بعد اكتشاف القارة الجديدة، أمريكا، ينظر: أسماء ابلالي، مرجع سابق، ص38.

بالنسبة للمسلمين جهاد إسلامي، حيث أن بعد سقوط غرناطة قد بادرت الملكة **إيزابيلا** وزوجها **فرديناند** بخرق المواثيق والعهود التي أعطيت للمسلمين.

وبعد أن شكا المسلمون الذين بقوا بالأندلس، خرق تلك العهود، لم يمكن جواب الحاكمين المسيحيين إلا تتبع المشتكين، إذ بدأ الاضطهاد الديني ينصب على المسلمين، كما جاءت هجرة المسلمين من الأندلس فرارا بعقيدتهم نتيجة لطبيعة هذه الحملات العنصرية من قبل الإسبان، لكن الهجرة من الأندلس إلى شواطئ المغرب العربي في شمال إفريقيا لا يقدر عليها إلا الذين يملكون من المال الذي يمكنهم من عبور البحر واستئجار السفن أو شراء ذمم الإسبان المكلفين بمراقبتهم، ولقد نقل المهاجرون أنباء الاضطهاد في المغرب العربي من أجل إنقاذ من بقي بالأندلس من العرب والمسلمين على الفرار منها، إذ كانت تسللات المسلمين إلى موانئ وشواطئ الأندلس كانت تهدف إلى استخلاص المسلمين الذين بقوا هناك من برائن الاضطهاد الديني ومقاصل محاكم التفتيش[1].

وتعتبر القرصنة في نظر المسلمين هي جهاد بحري ضد الصليبيين، لتأخذ بذلك بعدا إنسانيا من أجل إنقاذ آلاف المسلمين الفارين من اسبانيا بعدما زحفوا من شمالها إلى جنوبها وتطلعهم نحو بلاد الإسلام المجاورة، فقد كانوا في حالة ثورات مستمرة بمساندة إخوانهم من شمال إفريقيا، وبعد نصف قرن من محاولات الإسبان لتنصيرهم تأكدت بأنها تملك الأجساد لكن أرواح هؤلاء تبقى حرة وغير خاضعة لهيمنتها[2].

إلا أن ثورة المسلمين في غرناطة على1501م وهجمات القراصنة المسلمين على الجزر والسواحل الإسبانية ربيع 1505م زود المتعصبين الإسبان بالحجج اللازمة،

[1] محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص ص21-22.

[2] نجيب دكاني، المرجع السابق، ص ص21-22.

ولاسيما أن نشاط القرصنة هذا كان يشجعه ويسهم فيه مسلمو الأندلس المطرودون أو المهاجرون من اسبانيا[1]. "الموريسكيون"[2].

إذن فقد صمم فرديناند على تنفيذ وصية الملكة إيزابيلا[3]، التي كانت قد تركتها قبل وفاتها ألا وهي أن يحققوا الأمنية الغالية على قلبها التي كانت تود لو أنها قد حققتها بنفسها لو طال بها الأجل، ألا وهي فتح شمال إفريقيا، وعدم الكف عن القتال في سبيل الدين ضد الكفار، إذ جهزت اسبانيا، تحت ضغط الكنيسة واستفزازات الراهب خمينيس أسقف طليطلة، جيشها وأسطولها من أجل غزو شمال إفريقيا، بادر البابا بنشر قرار يعطي به الولاية لملكي اسبانيا على كامل الأرض التي يفتحانها بهذا المغرب..

وكان نفس البابا، اسكندر السادس[4]، (بورجيا الشهير) الذي أصدر سنة 1494م، عندما ابتدأ التفكير الجدي في احتلال شمال إفريقيا، عهدا يبارك به الهجمات الصليبية الاسبانية ضد الشمال الإفريقي عامة والجزائر خاصة[5].

---

[1] محمد خير فارس، المرجع السابق، ص18.

[2] المورسكيون: هم هؤلاءالمسلمين الذين عاشوا في اسبانيا بعد استرداد شبه الجزيرة بالكامل (عام 1492)، والذين أجبروا على اعتناق المسيحية. الوثائق الخاصة بالنصف الأول من القرن 16 تطلق عليهم "المنتصرين الجدد ذوي الأصل المسلم"، وقد اختفت الأقلية الموريسكية من اسبانيا مع عملية الطرد بين عام 1609–1614م، ينظر: مرتيديس غارثيا أرينال، المريسكيون الأندلسيون، تر: جمال عبد الرحمان، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، الجزيرة، القاهرة، 2003، ص27.

[3] محمد المبارك الميلي، المرجع السابق، ص23.

[4] البابا أكسندر بورجيا الشهير: من مواليد جانيفا بإسبانيا سنة 1431م، صبح بابا منذ سنة 1492م إلى غاية سنة 1503م وقد مارس دورا مهما حيث كان يطلق عليه أنه أمير أكثر من بابا أو رجل دين اشتهر بقسوته في تنظيم الحرب ضد المسلمين، أصدر عهدا سنة 1494 يبارك به الهجمات الصليبية الاسبانية ضد شمال إفريقيا، ينظر: أسماء ابلايلي، المرجع السابق، ص36.

[5] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492–1792م، وثائق ودراسات، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، قسنطينة الجزائر، 1984، ص ص80–81.

ب-دوافع سياسة وإستراتيجية:

اشتملت خطة الاسبانيين والبرتغاليين على العمل في تطويق أقاليم المغرب الإسلامي وذلك لاحتلال موانئه المطلة على البحر الأبيض المتوسط كذلك احتلال أقاليم إفريقيا السوداء الواقعة جنوبه، بحيث لم تتمكن الدول الكاثوليكية من احتلال المغرب العربي نفسه، وتحويله إلى المسيحية، حيث كان صراعا واضحا بين نظامين اجتماعيين، ظهر أحدهما في صورة إقطاع قديم متفكك وضعيف، كذلك وضع أن الثاني كان واقعا تحت تأثير ازدياد الأموال في أيدي التجار وعملهم على انتزاع التجارة الدولية بموادها وطرقها وأسواقها من أيدي الغرب[1].

إن ملوك اسبانيا الذين تمكنوا من توحيد الدولة في البلاد الاسبانية قد استولوا على زمام الأمور بيد من حديد، وتحمل السيف والإنجيل في آن واحد، إذ أصبحوا يطمعون في سيادة الدنيا، ويلقون بأنظار الجشع والطمع على القارة الأوروبية والقارة الإفريقية، كما ألقوها من قبل على القارة الأمريكية التي كانت قد قاست من جراء ذلك أقسى المحن والشر أنواع البلايا، حيث أصبح ملوك اسبانيا يضربون شمالا وجنوبا وغربا، الضربات القاسية الفتاكة، إذ ذاقت منهم أوروبا الأمرين، وكانوا يحاولون إعادة الأمجاد وممتلكات الإمبراطورية القديمة، إذ صاروا لا يتحملون رؤية أي دولة أخرى تنازعهم السيادة والسلطان شرقا وغربا، وتقتسم وإياهم خيرات البر وتجارة البحر، ولقد كان هذا المد الاستعماري الجشع، كان من جملة الأسباب التي ألقت بهم على سواحلنا الشمالية لإفريقيا، ولقد ساعدهم على ذلك حالة التفكك والانحلال التي أصابت الشمال الإفريقي[2].

---

[1] يحي جلال، تاريخ إفريقية الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999، ص65.

[2] أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص86.

كانت الجزائر تتمتع بموقع إستراتيجي هام، فهي تطل على البحر المتوسط من جهة الشمال وكانت كذلك تتمتع بساحل طويل، هو أطول سواحل الدول المغربية على المتوسط لأنها تعد أكثر الدول تمتعا بالمناطق الصالحة للتجارة، ثم أن دواخل الجزائر تضرب بعيدا في القارة الإفريقية، حتى إلى منطقة الصحراء الكبرى وما يليها من أقطار غرب إفريقية، حيث قامت في العصور الوسطى' تجارة رائجة من الذهب والصيد والعاج، حيث كانت الجزائر تعتبر همزة وصل بين القارتين الإفريقية والأوروبية وقلب المغرب الكبير، كما قد سمحت لها حدودها المشتركة مع عدد من الدول الإفريقية، بأن تكون معبرا رئيسيا نحو كل الاتجاهات[1].

كذلك بالإضافة إلى وجهة نظر الإسبان الذين لم يستطيعوا التخلص من احتلال العرب لبلادهم إلا بعد كفاح قاس عنيف، إذ ذاقوا خلاله الأمرين، حيث دام زهاد الثمانية قرون، ومهما أطنبنا في ذكر مزايا الفتح الإسلامي، إلا أنه كان عهد احتلال أجنبي بغيض، جعل الدخيل حاكما في الأصيل، وجعل راية الإسلام مرفوعة وراية المسيحية منكسة ومحبطة[2].

فلقد كان الإسبان قد تملوا بخمرة النصر، إذ كانوا يخشون قبل كل شيء رد فعل الإفريقي، فالإسبان يخافون أن يعيد عليهم المسلمون الكرة من جديد، بالأخص كانوا يخافون أن تمتد الأيدي المساعدة الإسلامية من الشمال الإفريقي، إذ أن القاعدة الحربية التي تتمتع باستمرار في هذه الحالة، هي حمل الحرب إلى أرض العدو، ووضعه في

[1] إلهام يوسف، المرجع السابق، ص345.

[2] أحمد توفيق المدني، نفسه، ص83.

وضع المدافع عن عقر داره، حتى لا يفكر في مداهمة دار جاره، حتى لا يفكر في مهاجمته أبدا[1].

هذا بالإضافة إلى تخوف الإسبان من بروز القوة العثمانية الجديدة التي أخذت تنمو وتزدهر في تلك الحقبة وأصبحت تنتشر بصفة لا نظير لها خاصة في الشرق الإسلامي، مما أدى بذلك إلى اعتقاد الإسبان أنه إن لم يسبقوا الأتراك العثمانيين إلى هذا الربوع، فإن هؤلاء الأتراك العثمانيين الذين أصبح خطرهم في البحر عظيما، سيسبقونهم إليها، إذ سيكون لهم يومئذ مع الإسبان شأن عظيم ليس على شمال إفريقيا فحسب بل على اسبانيا نفسها أيضا[2].

لقد كانت سواحل شمال إفريقية ضرورية لكل اتصال بحري آمن بين السواحل الاسبانية وسواحل إيطاليا الاسبانية، كما كانت ضرورية لنشاط اسبانيا في البحر الأبيض المتوسط. وكان الكاردينال خمينيس[3] يعرف كيف يوفق بين الدوافع الدينية والسياسية وكان يرى أيضا أن الاستيلاء على الجزائر ضروري للتوسع الاسباني، حيث أن الجزائر كانت تتميز بعدة مزايا مختلفة عرفت بها في تلك الفترة وكذلك موقعها الإستراتيجي الممتاز الذي لعب دورا بارزا في تأكيد الإسبان على الاستيلاء عنها والسيطرة على كل شمال إفريقيا[4].

---

[1] أحمد توفيق المدني، نفسه، ص ص84-85.

[2] نفسه، ص87.

[3] الكاردينال خمينيس: ولد في قشتالة (1436-1518م) تم تعيينه أمينا لسر المملكة 1492 ثم كاهنا لطليطلة 1495م ثم جاكما لقشتالة حتى وفاة الملكة 1504 ثم رئيسا لمحاكم التفتيش 1506-1516م وفتح وهران 1509، اشتهر بقسوته الوحشية في إبادة المسلمين، وكان المحرض الأساسي لاحتلال مدن المغرب في محاولة لتنصير مسلمي المغرب، ينظر: بسام العسلي، خير الدين بربروس/ الجهاد البحري، 1470-1547م، ط1، دار النفائس، بيروت، 1980م، ص45.

[4] محمد خير الدين فارس، المرجع السابق، ص18.

ج-الدوافع الاقتصادية

ساعد موقع كل من اسبانيا والبرتغال الممتازين على توجيه أنظار هذه الدول إلى السواحل الإفريقية، وعملهم على اكتشاف ما وراء المحيط الأطلسي[1]. ولقد قامت كل من اسبانيا والبرتغال قد قامت بعدة عمليات من أجل نزع التجارة الإفريقية من العرب والمسلمين، لك انتزاع تجارة الشرق الأقصى من أيدي العرب والمسلمين، فاعتبر هذه العمليات التي قامت بها الإسبان والبرتغال من أجل السيطرة على مناطق إنتاج المواد الخام ومناطق الاستغلال التجاري وأدى هذا الصراع بين الطرفين خاصة على طول الساحل الإفريقي أو عند مناطق إنتاج المواد الخام نفسها في الهند والشرق الأوسط وكان هذا الاصطدام قد وضع بين البرتغاليين وبين دولة المماليك التي كانت تسيطر على منطقة الشرق الأدنى في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر، وقد وقعت بين الاسبانيين والبرتغاليين معارك أخرى وبين أقرب القوى العربية والإسلامية، أي مع إمارات المغرب الإسلامي، وخاصة نتيجة لقرب هذه الإمارات من شبه الجزيرة الإيبيرية[2]، إذ ارتبطت المعركة بمسألة طرد الموريسكون من الأندلس وعملية الصراع بين الصليب والهلال[3].

وكانت سياسة الإمبراطورية الاسبانية تهدف إلى تأمين طريق بحري آمن في البحر المتوسط بين إشبيلية وصقلية الغنية بالحبوب إذ سعت لتحقيق هذا الهدف عن طريق نقاط الارتكاز على سواحل شمال إفريقية، إذ أن كون شمال إفريقيا كان محطة هامة

---

[1] يحي جلال، المرجع السابق، ص63.

[2] شبه الجزيرة الإيبيرية: يسميها العرب بالجزيرة أيضا تقع في الجنوب الغربي من أوروبا وتسد البحر الأبيض المتوسط من الغرب حاجزة بينه وبين المحيط الأطلسي، تربط بين اسبانيا في شمالها بالممرات التي تقطعها، كذلك في الوقت نفسه تحول بينها وبين الانفتاح الكامل على أوروبا فهي شبه عزلة عنها، أنظر: مصطفى شاكر، الأندلس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1990، ص ص6-7.

[3] يحي جلال، المرجع نفسه، ص ص63-64.

للتجار القادمين من جنوة والبندقية، لذلك احتلوا أغلب التحصينات التي كانت تقع على ساحل إفريقية وذلك لأجل تأمين طريق بحري يرتكز على الساحل الذي يمتد من مدينة إشبيلية الاسبانية إلى صقلية، بغية حماية طرق مواصلاتهم مع صقلية التي كانت تزودهم بالحبوب[1].

لقد تعرضت اسبانيا إلى انهيار اقتصادي كان ذلك بعد طرد المسلمين واليهود من أراضيها، إذ كانوا يشكلون العمود الفقري لاقتصاد بلاد الأندلس إذ أدى بذهابهم إلى تعطل الإنتاج وغياب وسائل التصنيع، مما توجه زعماء هذا البلد إلى اكتساح بلاد المغرب العربي للساحل الشمال الإفريقي وعلى وجه الخصوص المغرب الأوسط، إذ كان ذلك كإجراء وقائي وسلوك يراد منه الرغبة في وضع حد لهذه الأزمة الخانقة، وذلك عن طريق الاستفادة من موارده المتنوعة التي لا تنصب، إذ سبق بذلك للبرتغاليين أن احتلوا سبتة سنة 1415م، قصد وضع أيديهم على مضيق جبل طارق، كون أن التجارة البرتغالية في البحر المتوسط بعد أن كانت تأتي من موانئه الشرقية، أصبحت تصل من موانئ فرنسا الجنوبية مثل مرسيليا، وبرشلونة، إذ أصبحت السفن التجارية تعبر هذا المضيق لتصل إلى مدينة لشبونة قبل أن تصبح عاصمة للبرتغال[2].

وإن اكتساح المغرب العربي و إخضاعه للحكم الاسباني، قد يضع حلا لهذه الأزمة الخانقة، لأن المغرب العربي أي الشمال الإفريقي خاصة المغرب الأوسط قد عرف بأنه مهد الخيرات ومنبع الثروات، مزارع غنية، وغابات كثيفة، ومروج خضراء لا يدرك البصر نهايتها، كذلك امتلاكها الثروة الحيوانية تكاد تكون خيالية، كذلك عرفت بسواحلها الغنية بالمرجان، وصناعة الجلود والصوف والحرير وتمتعها بسمعة عالية.

---

[1] إلهام يوسف، المرجع السابق، ص346.

[2] عبد القادر فكاير، الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية 910-1206 و/1505-1792م، دراسة تناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر، ص18.

كل هذا ولقد كان ينتاب هذا المغرب العربي لشمال إفريقية من حروب أهلية وفتن وعدم استقرار الحكم في أي مكان، فالشمال الإفريقي أي المغرب الأوسط مستعمر يمكن أن يزود اسبانيا بما هي أمس الحاجة إليه من مختلف المواد وغيرها من الضروريات[1].

كما كان المغرب العربي، وخاصة المغرب الأوسط، يشكل صلة الوصل برا بإفريقية الوسطى، إذ شاع في تلك الحقبة لبلاد المغرب الأوسط أنها بلاد التمر وأن خيراتها لا تعد ولا تحصى[2].

وإن جميع هذه الدوافع الدينية والسياسية والاقتصادية دفعت الإسبان إلى احتلال سواحل المغرب الأوسط، كان قد تضامن ذلك ضم شمال البحر الأبيض المتوسط إلى الساحل الجنوبي منه الذي يضم سردينا وكورسيكا وصقلية وجزر البليار لتحي بذلك سياسة بحرنا الرومانية[3].

د-دوافع عسكرية

لقد بقيت القرصنة تمثل دافعا رئيسيا للسياسة الاسبانية ضد الجزائر، ولرفع أي التباس نحاول توضيح الفرق بين البحارة والقراصنة[4].

إذ عرف جون، ب. وولوف: "إن القرصان هو الشخص الذي كان حرا في النصب، ولا يعترف بأي سلطة فوق إرادته الخاصة. فقد كان يهاجم، بدون أي تمييز، سفن أية دولة. إذ كان هدفه الوحيد هو النصب، ولكن رياس البحر، كانوا أشخاصا موكلين من غيرهم للقيام بهذه المهنة، ولم يشنوا حربا إلا على أعداء أميرهم... إذ كانت

---

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص88.

[2] إلهام يوسف، المرجع السابق، ص346.

[3] أسماء ابلالي، المرجع السابق، ص41.

[4] نجيب دكاني، الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية، المرجع السابق، ص20.

مهمة سفينة رياس البحر، مثل مهمة سفينة القرصان، عبارة عن القيام بعملية مغامرة، أكثر مما هي مهمة للصالح العام، غير أن رايس البحر كان يقوم بمهمة تعطي طابع الشرعية لنشاطه، حيث كان يتصرف في غنائمه بطريقة ينظمها الأمير التابع له"[1].

كذلك قال مولاي بلحميسي في كتابه الذي كان بعنوان تاريخ البحرية الجزائرية، إذ قال في موضوع القرصنة: "هو أن القرصان يسعى في البحار لحسابه الخاص، دون أن يحصل على ترخيص من حكومته، إنه ليس سوى لص مسلح، أما البحار القرصان فهو مقاتل نضالي، قناص في البحر يهاجم سفن أعداء أمته ليحصل منها على نصيب معلوم، وعلى سفينته علم بلده[2]، إذن القرصنة La cours من أكثر من قرن كانت عبارة عن وكر لصوص البحر تستعمل كحجة لتبرير السيطرة الاستعمارية، فحرب القرصنة هي نوع من الحرب تقوم فيه الدولة بإشراك الخواص من أصحاب السفن في تكاليف وفوائد الحرب البحرية"[3].

ولقد كانت الجزائر آنذاك لها سيطرة على البحر من خلال الموقع الذي كان تتمتع به من خلال موانئها، ولوضع حد لنشاط البحرية الجزائر في الساحل الإفريقي الشمالي الذي سبب لإسبانيا خسائر مادية وبشرية بالإغارة على سواحلها، كان التوجه لغتها من خلال احتلال أهم المدن التي بدون موانئها لا يمكن الحديث عن نشاط بحري[4].

---

[1] جون وولف، الجزائر وأوروبا، 1500–1830م، تر. تع: أبو القاسم سعد الله، دار الرائد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص179.

[2] نجيب دكاني، المرجع نفسه، ص21.

[3] المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني –القرصنة الأساطير والواقع، ج2، دار القصبة للنشر، بدون سنة، ص ص8–10.

[4] نجيب دكاني، المرجع نفسه، ص22.

ثانيا: الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية

كان لضعف بني زيان، تأثير سيء على أوضاع الجزائر فانقسمت على نفسها إلى إمارات مفككة متناحرة، أمثال جبال كوكو ببلاد القبائل، والإمارة الحفصية بقسنطينة، وإمارة الذواودة بالحضنة و الزاب، وإمارة بنو جلاب[1]، تعرف ووادي ريغ، وإمارة بني مزناسن وفقيق بالحدود الغربية، وإمارة الثعالبة بجزائر بني مزغنة ومتيجة، إذ شجع هذا التفكك الاسباني للقيام بغزو موانئها ومدنها الساحلية والسيطرة عليها الواحدة تلو الأخرى وفق مشروع استعماري واسع يهدف إلى استعمار المغرب العربي كله، ممهدين له بحركة جوسسة واسعة فكلف الكاردينال كريمناس شخصا يدعى لوراندودي باديلا، بمهمة التجسس في مملكة تلمسان الزيانية وذهب إليها في زي تاجر مسلم، وبصحبته البندقي الإيطالي حيرونيمو فينالي، وبقي ما يقرب من عام جمع من خلالها المزيد من المعلومات، ثم شرعت اسبانيا في إعداد خطة للغزو على السواحل الجزائرية[2]، وذلك من خلال التقرير الذي اقترحه الجاسوس السري باد يلا، وهذا التقرير طرحه حول إمكانية كل المنطقة الممتدة من مليلة حتى الجزائر، لكن خطته رفضت وتأجلت المشاريع بسبب وفاة إيزابيلا عام 1504م، لكن هذا لم يمنع السفن الاسبانية من محاصرة سواحل إمارة تلمسان[3]. وذلك للحد من نشاط البحارة المغاربة، حيث كانت في الكثير من الأحيان تتم عملية إنزال الجنود الإسبان في البر للقيام بهجومات توصلت حتى أسوار المدن المحصنة، وفي جوان 1502م كان هناك هجوم اسباني يختطف قافلة قرب مدينة أرزيو، متجهة من

[1] بنو جلاب: هم حكام تقرت الواقعة في الجنوب الجزائري، ينظر معاذ عمراني، منطقة وادي ريغ في ظل الاحتلال الفرنسي 1854-1962م، دراسة سياسية، رسالة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، بوزريعة، 2016م، ص26.

[2] يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ط2، ج2، الجزائر الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص8.

[3] تلمسان: هي مدينة تقع في الجهة الغربية للساحل الجزائري، أي في الغرب الجزائري.

مستغانم إلى وهران، وفي سبتمبر من السنة نفسها قام أسطول من مايوركا بهجوم على شرشال أين تمكن من أسر 300 رجل وحرق المدينة[1].

قد شجع تفكك المغرب العربي الإسلامي المملكة الاسبانية على غزو السواحل والمدن الساحلية للجزائر والسيطرة عليها ولقد كان هذا وفق مشروع استعماري كبير، ومن المدن التي تم احتلالها من قبل الإسبان نذكر:

1-احتلال المرسى الكبير 1505م ووهران 1509م

ففي شهر سبتمبر من عام 1505م أعد الملك الاسباني فرديناند حملة عسكرية أسند قيادتها إلى جون دييغو فيرنانديز وكلفه بالهجوم على المرسى الكبير الذي كان يستقر به عدد كبير من مسلمي الأندلس المطرودين، فهجم عليه يوم 09 من نفس الشهر واحتله بعد معارك دامية، وبخيانة بعض من لا ضمير لهم، وارتكب الإسبان مجازر رهيبة تؤكد مدى الحقد الديني الدفين في قلوبهم ضد المسلمين، وبعد حوالي خمس سنوات وجه الإسبان ضربتهم الثانية ضد وهران، وأعدوا حملة ضخمة خرجت من قرطاجنة بإسبانيا يوم 16 ماي 1509م بقيادة الكاردينال خمينيس نفسه ووصلت إلى وهران يوم 19 من نفس الشهر وفرضت الحصار حتى استولت عليها بفضل خيانة بعض ضعفاء الدمة والسماسرة اليهود كذلك، وفعلوا فيها ما فعلوه بالمرسى الكبير من تقتيل وتخريب وهتك للأعراض، وبعد هذا النجاح عين الإسبان أحد قراصنتهم وهو بيدرونافارو حاكما عاما عليها وعلى المرسى الكبير ومملكة بني زيان التلمسانية التي أعلنت خضعوها لهم وهو ما يؤكد نيتهم في احتلال البلاد كلها[2].

[1] نجيب دكاني، المرجع السابق، ص24.

[2] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص8-9.

وقام خمنييس بتحويل كل مساجد المدينة إلى كنائس ومنها مسجد البيطار، وأنشأ معقل وحصونا وصوامع جديدة للدفاع ضد السكان الذين لربما سيهاجمون المحتلين المستعمرين الإسبان، ونهب كل ما وجده من تحف ونفائس كالكتب والقناديل وغيرها، شحنها إلى اسبانيا وحرر بالمدينة 300 أسير مسيحيا. وكافأ اليهوديين سطوة، وبن زهوة، وإبقاؤهما مكاسين على أسواق المدينة، وأوكل لهما مهمة استخلاص الغرامات من السكان واعترف أبو حمو الثالث[1] بتبعيته للإسبان وقيل بأن يدفع لهم جزية سنوية مبلغ 12 ألف أوقية ذهبية و12 فرنسا، و6 صقور[2].

وبعد احتلال وهران زاد الاهتمام بأمر مستغانم لأهميتها الإستراتيجية فضيقوا عليها وعلى قرية مزغران المجاورة لها غربا، وأرغموا شيوخها وزعماءها على إبرام معاهدة إذلال نصت على السماح للإسبان ببناء قلاع وتحصينات لهم، وقيام السكان بدفع ضريبة سنوية للإسبان، وتموين المحتلين الإسبان بوهران والمرسى الكبير بما يحتاجونه من المؤن والأغذية الضرورية، وضع رسو السفن الأجنبية بمستغانم إلا بإذن الإسبان بوهران، غير أن هذا الاتفاق لم يقدر له أن ينفذ لأن الأمور لم تسر وفق ما كان يود وينتظر الإسبان[3].

2-احتلال بجاية 1510م:

لم تتوقف اسبانيا عن خططها لاحتلال مناطق الشمال الإفريقي التي رسمتها وفق خطة مدققة وبرنامج محكم[4].

---

[1] أبو حمو الثالث: هو أحد حكام الدولة الزيانية للمغرب الأوسط، شهد في فترة حكمه تنازعه حول الحكم، كان أربط تبعيته للإسبان.

[2] يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص41-42.

[3] يحي بوعزيز، وهران عبر التاريخ، المرجع السابق، ص42.

[4] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص119.

كانت بجاية تلفظ أنفاسها الأخيرة، مثلها مثل دولة بني زيان، من جراء الصراع على العرش الذي كان جاريا بين الأمير عبد الرحمان الحفصي[1]، وابن أخيه، في الوقت الذي لم يكن فيه الإسبان غافلين عما يجري داخل القصر من نزاع فراحوا يتيحون الفرصة لاحتلال المدينة. وهكذا فإنهم ما إن ثبتوا أقدامهم في وهران حتى شرعوا يعدون الحملة لاحتلال بجاية وجعلها قاعدة انطلاق لاحتلال القل وعنابة وتونس ليسهل عليهم بعد ذلك التحكم في مضيق صقلية. وقطع الطريق على العثمانيين من الوصول إلى غرب البحر الأبيض المتوسط.

بظهور هذه المستجدات دخلت بجاية عهدا جديدا من تاريخها. عهد كله فتن وصراعات، انتهى بزج حاكم بجاية عبد الله في السجن بعد أن أفقده عبد الرحمان الحفصي بصره، أمام كل هذا التفكك السياسي قررت السلطات الاسبانية شن حملة عسكرية لاحتلال المدينة، خاصة وأنه وصلتها تقارير أكدت على ثراء سكانها والبالغ عددهم حوالي ثمانية آلاف أسرة، ولقد غادر الأسطول الاسباني المرسى الكبير في 30 نوفمبر من سنة 1510م متجهة نحو جزر البليار، قدرت الروايات التاريخية تعداده بعشرين وحدة عسكرية تحمل عشرة آلاف جندي مدعمين بمدفعية وذخيرة حربية يقودهم بيدرونفاروا وما إن قد وصل إلى جزر البليار التحق بهم الدعم البشري والمادي القادم من اسبانيا[2].

ولقد نظم الحملة ورتب تفاصيلها، ووضع على الأسطول الأمير آل فيروتيمو قباني، حيث قام يوم غرة جانفي 1510م وقد أقلع الأسطول بجيشه وتعداده الضخم، حيث كانوا أمام مدينة بجاية يوم 5 جانفي، وما إن رأى المسلمون الخطر، وكانت قد بلغتهم

[1] محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512-1543) تص: ناصر الدين سعيدوني، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص111.

[2] خديجة دوبالي، الغزو الاسباني على السواحل الجزائرية (1505-1511م)، مجلة القرطاس، ع6، 2017، ص30.

مأساة وهران، فنادوا للجهاد، واستعدوا للدفاع عن مدينتهم وعن دينهم وكذلك عن ميراثهم الحضاري الواسع العظيم، بحيث قد تسلقت الجبال فرقة من أبناء المدينة قدرت بنحو عشر آلاف رجل تسلقوا بذلك مرتفعات جبال القورايا[1]، لكي تمنع الإسبان من النزول إلى البر، وبذلك أخذت كلا المدفعيتان البجائية والاسبانية، تتبادلان رمي القذائف لكن الفرق كان واضحا وشاسعا جدا بين مدفعية مهاجمة تابعة لدولة نامية متحدة، ذات قوة حديدية بينما الأخرى قوة مدفعية ضعيفة تابعة لدولة منهارة كانت تحملها يد فاشلة، وبذلك تمكن الإسبان من مد أخشابهم المهيأة للنزول فيما بين السفن والساحل، ولقد كانت هذه المعركة معركة شعب لا معركة حكومة، حيث تولى الشعب البجائي بكل قوته للتصدي ولكل تضحية من أجل حماية المدينة، إذا لم يقبل أن يرى الجيش الاسباني ينزل إلى أرضه بل أخذ يستعد للدفاع عن مدينة الناصر، وقد قاموا بمبادرتهم بإخراج النساء والصبيان من المدينة المحددة وإرسالهم إلى مدينة جيجل[2].

ولكن لم يمض سوى وقت قصير حتى تمكن الإسبان من إنزال قواتهم إلى البر أي مدينة بجاية، وبنزول الإسبان إلى البر، أصبح وضع المدينة أشد خطورة، ولقد تقرر نتيجة لذلك إخراج الأطفال والنساء وإرسالهم إلى مدينة جيجل[3]. وفي ذلك الحين أصدر قائد الحملة الاسبانية أوامره إلى إحدى فرق الجيش بتسلق مرتفعات بجاية للإشراف على المدينة من أعلاها، ومنع وصول النجدات إليها. بينما أسندت مهمة الهجوم على المدينة للفرقة المحاذية للساحل.

وزادت حدة المعركة بين المسلمين والإسبان الذي أخذوا يتسلقون المرتفعات المحيطة بالمدينة في الوقت الذي كانت فيه الفرقة الاسبانية الثانية قد اقتحمت المدينة من

---

[1] جبال القورايا: هي جبال تقع في مرتفعات بجاية وهي التي تسلقها أهل بجاية من أجل التصدي للخطر الاسباني.

[2] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص120-121.

[3] مدينة جيجل: هي مدينة تقع في الساحل الشرقي للجزائر كانت من بين المدن التي احتلها الإسبان.

أسفلها – أي من جهة الساحل حيث وصلت إلى المنطقة التي تم من الأطفال والنساء، والتقى الفريقان الاسبانيان في وسط المدينة، وكان المدافعون عن المدينة قد اعتصموا بالبيوت، ولكن سرعان ما رأوا ضرورة الانسحاب وراء بجاية من أجل المقاومة وعرقلة توغل الإسبان داخل المدينة[1].

حيث قد غادروا المدينة بعد معركة لم يكتب لها النجاح، وكان من أول المساجين عبد الرحمان الحفصي. كذلك قام الإسبان بقتل كل من وجدوه من أهل مدينة بجاية مثلما فعلوه في وهران وقد أصرفت المعركة عن مقتل 4.100 قتيل، كما تم نهب المدينة ونقل كنوزها إلى اسبانيا في 30 سفينة وبعد أن ثبت الإسبان وجودهم في بجاية أذنوا لأهالي المدينة بالعودة إلى منازلهم، فرجع كثيرا منهم. في حين أن خارج المدينة رفض رجال القبائل الأعراف بسلطة الملك عبد الرحمان عليهم، إذ بايعوا الأمير أبا بكر الذي كان يحكم قسنطينة باسم الحفصيين أميرا عليهم وقد التف حوله الثوار الذين أخذوا يناوشون الإسبان تحت قيادته[2].

وبعد استيلاء الإسبان عام 1510 على بجاية ونهب جميع ما فيها من تحف ونفائس التي تم نقلها للإسبان كما ذكرنا سابقا، كما قاموا بهدم قصر اللؤلؤ البالغ طوله سبعين ذراعا والذي يعتبر من أعظم آيات فن المعمار الجزائري الجميل، كذلك حطموا قصر الكوكب والمسجد الأعظم، وفي نفس العام استولى الإسبان على طرابلس، كذلك سارعت عدد من المدن إلى الموانئ الأخرى إلى القبول والخضوع للسيادة الاسبانية ودفع الجزية مثل: تنس وشرشال ودلس...إلخ، وفي عام 1511م توجه وفد من مدينة الجزائر برئاسة

[1] محمد دراج، المرجع السابق، ص112-113.

[2] نفسه، ص114.

شيخها سالم التومي إلى بجاية التي جعلها بدررنافارو[1]، مركز قيادته، فأبرم معه صلحا تعهد فيه بالخضوع للنفوذ الاسباني والإفراج عن جميع الأسرى ومن النصارى ثم توجه الوفد عام 1512م إلى إسبانيا حيث قدم ولاءه إلى الملك فرينادند[2].

وكان الملك فرينادند يرغب في أن يدفع بفتوحاته في هذه الجهات إلى أبعد حد ممكن لولا أن صرفته عن ذلك حروب البابا مع مالك فرنسا والبنادقة، وكان أمير تلمسان يؤدي له المغرم، ووعده أحد الزعماء الأفارقة بدفع المغرم وبتسليم مدن ساحلية من مملكة فاس إذ هو أعانه على غزو المملكة المذكورة، وما إن أعدت العدة لهذا الأمر حتى وصلته رسالة من البابا يحثه على إنجاده كما أنجده الإمبراطور وأمراء مسيحيون آخرون، حيث كان سببا في عدم مواصلته لتلك المساعي، إذ لم يتمكن من استئنافها، وذلك بسبب ما حدث من فتن بين المسيحيين بعد معركة رافين وتوفي وهو ينوي تحقيق غرض نبيل دون أن يتمكن من إنجازه[3].

3-احتلال عنابة 1510م:

تنفيذا لتوجيهات **فرينادند** توجه الأسطول الاسباني بقيادة **بيدرو نافارو** نحو الشرق لإخضاع إمارة تونس[4] الحفصية، بعد أن ترك محمية في بجاية وأتمم تحصينات هذه الأخيرة. وفي طريقه إليها توجه إلى مدينة عنابة واحتلها دون مقاومة تذكر وكان ذلك سنة 1510م حيث ترك فرقة عسكرية بها وانطلق نحو تونس وبسبب تحصيناتها الجيدة

---

[1] بيدرونافارو: Pedro Navarro قائد اسباني قاد حملة على وهران عام 1509م وأخرى على مدينة طرابلس المغرب وبجاية عام 1510م، عزل على ولايته في مدينة بجاية بعد خيبة في احتلال

[2] محمد خير فارس، المرجع السابق، ص20-21.

[3] مرامول كربخال، إفريقيا، ج2، تر: عمد حجي، عمد زنيبر، عم الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنبلون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1988-1989م، ص331.

[4] إمارة تونس: هي إمارة تقع في تونس في شمال إفريقيا، كانت تحت الحكم العثماني وهي من ايالات السلطة العثمانية.

وصعوبة الاستيلاء عليها لقلة تعداد حملته سواء من حيث السفن، أو الجنود انتقل إلى طرابلس الضحية السهلة فاستولى عليها رغم المقاومة الشديدة لسكانها وارتكب فيها أبشع الجرائم حيث قتل أكثر من 6000 مسلم بين مدافعين ومدنيين، وقد ترك على رأسها **دييغودي فيرا** Dvegodevéra سنة من بعد وقع التنازل عن طرابلس لنائب الملك في صقلية، حيث أرسل لها حاكما وهو يدعى **قيلام دي مونكاد**.

وهكذا خضعت المدن التابعة لتلمسان أو المستقلة عنها، أما هذه الأخيرة فقد أرسلت وفدا إلى حاكم وهران الاسباني تعلن دخولها تحت لوائه وتتكفل فيه بتموين المدينة، على أن ذلك الولاء والتبعية لم تكن سمة جميع الزيانيين فالمعارضة كانت شديدة لذلك التوجه، وطيلة النصف الأول من القرن السادس عشر 16م سوف تتأرجح هذه الإمارة بالخضوع للإسبان مرة، ومواجهتهم والانفصال عنهم مرات أخرى[1].

ومن المناطق التي خضعت للاحتلال الاسباني أيضا نذكر:

أ/خضوع مدينة الجزائر 1511م:

أما مدينة الجزائر فقد توجه حاكمها سالم التومي في 31 مايو إلى بجاية ووافق على تسليم أحد الجزر وأكبرها والتي بنو عليها ما اشتهر ببنيون الجزائر، وحصن البنيون كما التزم بدفع ضريبة الولاء. هذا وذهبت بعض الروايات إلى أن **بيدرونافاروا** اشترط على سالم التومي التوجه إلى اسبانيا لإعلان فروض الولاء والطاعة والالتزام بتنفيذ شروط المعاهدة أمام الملك. وأضحت مدينة الجزائر منذ ذلك تحت التهديد المستمر من طرف الإسبان[2].

[1] نجيب دكاني، المرجع السابق، ص31.

[2] عائشة غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، 2007، ص17.

ب/خضوع مدينة مستغانم 1511م:

لم تكن تشأ مستغانم أن تقع في قبضة الإسبان، فاتصلت بهم، كما اتصل بهم سليم التومي، إثر احتلالهم لبجاية، حيث عقدت بين الجانبين الاسباني والمستغانمي اتفاقية حفظها التاريخ لنا نصها في الأرشيف الاسباني في خزينة أوراق سيمانكاس، وهذا ملخص ما جاء في هذه الوثيقة التي كانت قد صدرت في 26 ماي 1511م ما يلي[1]:

- إن قائد ومرابطي وشيوخ مستغانم ومازغران، وكذلك جميع السكان من عرب ويهود، يلتزمون بخدمة جلالة ملك وجلالة ملكة قشتالة بأمانة وإخلاص.

- دفع الرسوم والضرائب والإتاوات التي كانوا يدفعونها من قبل، برا وبحرا لملك تلمسان، بحيث يكون الدفع غرة شهر جوان من كل سنة.

- إطلاق سراح كل الأسرى المسيحيين الذين كانوا تحت قبضة أيدي أهل مستغانم ومازغران.

- ويحق للقائد العام لمملكة تلمسان **دون دياقوفرناندیز** بأن يحتل قلاع وحصون المدينتين إذا طلب منه صاحب الجلالة ذلك، دون أي اعتراض من قبل الأهالي.

- كذلك ملزمون بتسليمه كل ما يحتاج إليه من حيوانات نقل ومواد البناء وذلك بأسعار محددة مدققة.

- إلزام أهل المدينتين بتمويل مدينتي وهران والمرسى الكبير، ولا يسمح مطلقا بتعمير أو تفريغ أي سفينة بمرسى مستغانم إلا بإذن الملكين.

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص146.

- على سكان المدينتين إعلام القائد العام بكل ما يهم جلالتهما الاطلاع عليه، وبكل ما يتعلق بسلامة وهران والمرسى الكبير، كما عليهم الامتثال لكل أمر يلقى إليهم من أهل الحرب والسلام.

- لا يلزم أهل المدينة على اعتناق الدين المسيحي، وسمح لهم الملكان بأن يستمروا في حكم أنفسهم حسب شريعتهم، وتبقى لهم ديارهم وممتلكاتهم.

- كما أخذ الإسبان أثر هذه المعاهدة ويحملون الناس في كل المدينتين على الإمضاء وتسجيل قبولهم للمعاهدة أو إلزامهم بخدمة ملك اسبانيا[1].

وواصل الإسبان فتوحاتهم بالجزائر فاستحوذوا على مدينة دلس وشرشال واحتلوا أيضا مدينة فنين سنة 1531م، ونزلوا بالأماكن الإستراتيجية بالسواحل الجزائرية خاصة، وتحاثوا المدن مقابل مغارم باهضة حيث كان غرضهم الوحيد في تلك الفترة من هذه الغزوات هو مواصلة الحروب الصليبية على سواحل الشمال الإفريقي خاصة الجزائر، إذ أحدث ذلك قلقا واضطرابات في الراعي والرعية وما اضطرهم إلى أن يخضعوا للسلطة الأجنبية التي فرضت عليهم[2]، حيث شرع الإسبان بناء حصن البنيون[3] بالجزائر الذي أصبح قيادة بحرية عليا حينها كما ذكرنا سابقا ذلك، إذ أنزل الإسبان بهذا الحصن نحو 200 جندي وذلك من أجل رصد غزاة المسلمين وحماية الممتلكات الجزائرية التي كانت محتلة من قبل الإسبان وسيطرتهم عليها، حيث سيطر الإسبان على الجزائر يومئذ بكل

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص 147.

[2] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960م، ص200.

[3] حصن البنيون: هو ذلك الحصن الذي بناه الإسبان في غزوهم للمدينة سنة 1510م، إذ بقوا فيه حتى تمكن خير الدين من تحريره منهم سنة 1529م، إذ كان نواة ميناء الجزائر، ينظر: توفيق دحماني، المرجع نفسه، ص192.

قوتهم الذين استغلوا الأوضاع التي شهدتها الجزائر في تلك الحقبة من انهيار وحروب أهلية حول الحكم[1].

وهكذا فإننا إذ تتبعنا حركة الاحتلال الاسباني، فإننا نلاحظ بأنه لم تأت سنة 1512م حتى كانت معظم مدن الساحل الجزائري قد وقعت تحت الاحتلال الصليبي الاسباني، إما عن طريق استعمال القوة العسكرية كما حدث في المرسى الكبير ووهران وبجاية وعنابة، أو عن طريق إعلان الخضوع والتبعية للإسبان عندما تبين للزعماء المحليين عجزهم عن المقاومة كما حدث في تنس والجزائر ومستغانم وشرشال وغيرها من المدن الواقعة على طول الساحل الجزائري[2].

وهكذا كان احتلال الإسبان لمدن المغرب الأوسط الساحلية بداية لنهاية مملكة آل زيان التي ستزول نهائيا مع وصول العثمانيين للمغرب الأوسط[3]. (الجزائر).

ثالثا: التواجد العثماني في الجزائر (1519-1830م)

وللحديث عن الوجود العثماني بالجزائر الذي اعتبر أمر صعبا لأن الدولة العثمانية كانت قد مرت بمراحل مختلفة وظروف متغايرة، لأن العثمانيون في البداية كانوا يحاولون توجيه المسلمين ومنع الدول الغربية المسيحية من بسط نفوذها في العالم الإسلامي ومن جانب آخر أن الدول الغربية كان لها حقد كبير على الدولة العثمانية كون أن هذه الأخيرة وقفت في وجه طريق التوسع الأوروبي طوال أربعة قرون من الزمن، إذ وحدت مناطق شاسعة من بلاد المسلمين والغرب كان متخوف من هذا التوسع المستمر ومن توحد وحدة

---

[1] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص202.

[2] دراج محمد، الدخول العثماني للجزائر، المرجع السابق، ص117.

[3] المغرب الأوسط: إن عبارة المغرب الأوسط التي اتفق جل المؤرخين على أنها الجزائر الحالية لم تكن تعني هذا بالضبط، فهي عبارة أطلقها العرب المسلمون مثلها مثل المغرب الأدنى والمغرب الأقصى كانت من الجغرافية غامضة غموض حدود الإمارات الإسلامية التي تعاقبت على حكم المغرب الإسلامي.

المسلمين وتكافئهم الذي سيساعدهم على تجديد إيديولوجيتهم واستيراد قوتهم وزيادة نفوذهم وذلك من أجل القضاء على أحلام الدول الغربية في التوسع والاستيلاء على خيرات وثروات البلدان الإسلامية. ولقد كسب العثمانيون ثقة العرب وذلك بعدما أن تمكنوا من القضاء على الدولة البزنطية و هي امتداد لدولة روما التي كانت عبارة عن خنجر مرشوق في جسم الأمة العربية طوال تسعة قرون تقريبا، فلقد كانت الدول الغربية تعتبر العثمانيون بمثابة أبطال ساعدت الدول العربية الإسلامية الضعيفة مقارنة بأوروبا[1]، ولقد كانت الدولة العثمانية كما ذكرنا، قد غدت في أوائل القرن السادس عشر أعظم قوة في الشرق الأدنى وفي الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، كما كانت تمثل القوة الإسلامية الفتية خاصة بعد أن نجحت في الاستيلاء على أملاك الدولة المملوكة في الشام ومصر والحجاز واليمن، وإلى ذلك الوقت لم تلعب البحرية العثمانية دورا بارزا في حروبهم فقد كانت الجيوش البرية هي صاحبة الفضل في مجدهم الحربي وقوتهم، ولقد تعرضت البلاد العربية في شمال إفريقيا للخطر الأوروبي والأطماع الاستعمارية البرتغالية والاسبانية، إذ استولت البرتغال على شواطئ المغرب الأقصى في حين استولت اسبانيا على الشواطئ الساحلية من الجزائر غربا إلى طرابلس شرقا لذلك لزم الأمر على دولة فتية تظاهرها قوة بحرية لمواجهة هذا الخطر المحدق ببلاد الإسلام في الشمال الإفريقي[2].

أما بالنسبة للجزائر، فكون الظروف الصعبة التي تمر بها البلاد في القرن السادس عشر وتفاقم الخطر الاسباني والإيطالي واحتلالهما لموانئ جزائرية وفرض الجزية[3] على

---

[1] عمار بحوث، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997، ص ص51-52.

[2] شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية للطبع والنشر، 1977م، القاهرة، ص95.

[3] الجزية: ضريبة شرعية عرفت تطبيقها خلال العهد العثماني في الجزائر.

سكان هذه المدن الساحلية وهذه العوامل التي دفعت بالجزائريين إلى الاستنجاد بالإخوة بربروس لإنقاذهم من الاحتلال الاسباني [1].

وكذا كان على الدولة العثمانية التي اعتبرت أقوى الدول الإسلامية القائمة آنذاك التدخل لمعاونة المجاهدين ودرء الخطر الصليبي عن المسلمين، وبذلك فقد عملوا في القرن السادس عشر على بناء سلطة عثمانية في بلاد المغرب العربي ما قبل انحصار الوجود العسكري الإسباني والبرتغالي، وفي ظل قوة العثمانيين هذه لاسيما في جانبها البحري، وفي ظل التكالب الاسباني البرتغالي على سواحل المغرب العربي[2]، لأن ملوك اسبانيا والبرتغال كانوا مسلطين أعينهم على المغرب العربي في شمال إفريقيا خاصة الجزائر التي كانت هي الأخرى تطل على البحر، إذ سعى الاحتلال الاسباني لاستغلال خيراتها حيث أن كل هذه الاعتداءات الاسبانية التي قامت بها ضد الجزائر مما دفع بسكان أهل الجزائر طلب الاستغاثة والاستنجاد بالإخوة بربروس من أجل التعاون لإحباط التحرشات الاسبانية على السواحل الجزائرية[3].

إن العثمانيين قد دخلوا الجزائر أساسا بطلب أهلها إذ ربطوا مصيرهم في الغالب بمصير أهل البلاد وتحالفوا معهم، إذ وقفوا أهل الجزائر مع العثمانيين جنبا إلى جنب وذلك من أجل توطيد الأمن والاستقرار في البلاد ونشر السلم والأمن من الخطر الأجنبي[4].

---

[1] عمار بحوش، المرجع السابق، ص52.

[2] بلقاسم صديقي، بدايات الوجود العثماني بالجزائر، 1505–1519م، مجلة مشكلات الخمارة، بدس، بدوم، 2020، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 2، ببوزريعة، الجزائر، ص ص5–6.

[3] عمار بحوش، المرجع السابق، ص52.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1500–1830، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص141.

1-الاستنجاد بالعثمانيين:

خلال القرن 16م ذاعت أصداء الإخوة بربروس في الحوض العربي المتوسط في إطار مساعدة التجارة العثمانية لمسلمي الأندلس عقب سقوط غرناطة، ولقد طبع اسم الإخوة بربروس في مطلع القرن السادس عشر ميلادي وذلك بسبب جهادهما ونضالهما كقوة مضادة للقرصنة في البحر الأبيض المتوسط[1].

وبفضل الانتصارات التي حققها الإخوة عروج وخير الدين في البحر المتوسط اللذان قد انتشر اسمهما في جميع سواحل شمال إفريقيا منسوجا بالفرح والسرور، وخاصة أنهم استطاعوا إقامة قاعدة بحرية في حلق الواد بنوس إذ أصبحت منطلقهم في مجابهة خطر السفن الإسبانية[2].

ونتيجة للجهود التي أظهرها الإخوة بربروس في مقاومة الغزو المسيحي وحمايتهم للمسلمين الفارين من الأندلس، ولذلك فقد استنجد بهما سكان أهل مدينة بجاية في عام 917هـ- 1512 م، وطلبوا منهم مساعدتهم على طرد الخطر الإسباني من بجاية[3]، أي كان ذلك بعد مرور سنين من احتلال مدينة بجاية بحيث شكل علماء وأعيان المنطقة وفد لمقابلة عروج ليطلبوا منه إنقاذ مدينتهم ومساعدة الأمير عبد الرحمان على استرجاعها، وعلى أثر ذلك لبى النداء وساروا على رأس جيش صغير لمحاصرة المدينة، وبعد حصار قصير أرغم الإخوة على التراجع والعودة إلى تونس، وكانت نتيجة هذه المحاولة أليمة بالنسبة لعروج التي فقد أثناءها ذراعه ورغم فشل المحاولة إلا أنها كانت بداية الاحتكاك بين الطرفين، فمن ناحية تعرف الأهالي على شدة بأس هؤلاء الرجال وعلى رأسهم

---

[1] عائشة غطاس وآخرون، المرجع السابق، ص19.

[2] عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1409هـ-1989م، ص45.

[3] عزيز سامح، المرجع نفسه، ص47.

عروج وخير الدين، إذ كانت فرصة لتوحيد وتنسيق الجهود بين الجزائريين والإخوة بربروس[1]، ومن ناحية أخرى كانت إنذار بالخطر بالنسبة للإسبان ولقد أدرك عروج بعد هذه الهزيمة أن محاصرة مدينة بجاية وهو بقاعدته البعيدة خلق الواد أمر صعب، فقرر الانتقال منها إلى جيجل، حيث كانت عبارة عن مدينة صغيرة وقاعدة تجارية للتجار الجنوبيين، وبعد معركة عتيقة تمكن عروج من اقتحام المدينة وكان أول انتصار حققه، وأصبحت جيجل قاعدة انطلاق جديدة له في حدود عام 1513م، ومنذ الوهلة الأولى إصطف حوله الأهالي بأعداد كبيرة وتقديم خدماتهم له لتوحيد الجهود[2].

ومن جيجل انطلق نحو بجاية محاولا تخليصها من الإسبان وذلك عام1514م، لكنها ظلت مستعصية على التحرير النهائي لما لها من القوات الإسبانية المتحصنة فيها بكل قوة فتأخر تحريرها حتى سنة 1555م على يد صالح رايس الذي دخلها في 28 سبتمبر من نفس السنة المذكورة وطرد الإسبان منها.

وبعد أن أخذ عروج يبسط نفوذه في المغرب الأوسط على حساب الإمارات الوطنية الصغيرة، وفي سنة 1516م اتجه عروج على رأس قواته إلى تلمسان مارا بمدن الجزائر الرئيسية مثل مدية وملیانة، حيث قام بها حاميات عثمانية ولقد امتد نفوذه في غرب الجزائر بعد أن دخل تلمسان حيث خضعت له عدة قبائل على حدود مراكش مثل بني عامر وبني سناسن[3].

كذلك طلب سكان أهل تلمسان الاستنجاد بالإخوة خير الدين وعروج من أجل القضاء على السلطان أبي حمو الثالث الذي تحالف مع الإسبان[4]، حيث بعد تحالف ابن

---

[1] عائشة غطاس وآخرون، المرجع السابق، ص ص20-21.

[2] نفسه، ص21..

[3] بلقاسم صديقي، المرجع السابق، ص7.

[4] عمار بحوش، المرجع السابق، ص53.

حمو وتعاونه مع القوات الاسبانية التي وصلت إلى مدينة تلمسان وقامت بحصار قوي على المدينة وعاد عروج في المقاومة، ولكن بعض أهل المدينة الذين تأثروا بالحصار خانوه، فاضطروا إلى الفرار بعد أن فنيت تقريبا الحامية العثمانية ومع أنه نجح في اختراق الحصار إلا أن القوات الاسبانية تتبعته واستطاعت قتله وهو في طريقه إلى مدينة الجزائر[1].

حيث أن سكان مدينة الجزائر وتلمسان وبجاية الذين طلبوا مساعدة عروج وخير الدين من أجل تخليصهم من الخطر الاسباني المحدق بهم، لأنهم أدركوا أنهم غير قادرين على مواجهة الجيوش المسيحية وذلك بسبب ضعفهم وصراعاتهم الداخلية، وجاءت هذه المساعدة بعد نجاح الإخوة بربروس في قهر القوات المسيحية الاسبانية وإلحاق هزائم متتالية بها[2].

كان استشهاد عروج سنة 1518م قد صدم خير الدين لأنه وجد نفسه في موقف صعب للغاية نتيجة تشابك الظروف وعدم استقرار الأوضاع، حيث كان يخشى ثورة المناطق المجاورة للجزائر خاصة قبيلة سالم التومي التي كانت تهيئ الفرصة المناسبة للانتقام من العثمانيين بطردهم عن الجزائر[3].

لأنه حينما بلغ مقتل عروج وتجنيد جيشه إلى أخيه خير الدين، الذي كان يستخلفه في مدينة الجزائر ولقد اعتقد خير الدين أن الإسبان ومن معهم من الأهالي سيتوجهون للجزائر، لأنه لم تكن له القوة التي تمكنه من مواجهتهم وخاصة وأن قبيلة الثعالبة في

---

[1] صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر– تونس – المغرب الأقصى، ط2، مكتبة الأنجلو مصرية، 1993، ص ص19–20.

[2] عمار بحوش، نفسه، ص53.

[3] محمد السعيد عقيب، دور خير الدين بربروس في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر، مجلة البحوث والدراسات، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الوادي، الجزائر، ع13، 9، 2012، الجزائر، ص297.

متيجة، التي كان بإمكانها أن تجند آلاف الفرسان، قبل أن يأتمنها الأتراك، فقد كانت تتحين الفرصة للانقضاض على الجزائر وعليه، غير أن الإسبان لم يغامروا ولو أسرعوا بالهجوم على المدينة لأمكن لهم أن يحتلوها ويسيطروا عليها إلا أنه جاء عكس ذلك تماما فالإسبان لم يقوموا بأي خطوة في تلك اللحظة[1].

2-إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية:

ونتيجة لهذه الحالة ظهر لخير الدين أن يجمع طائفة من أعيان مدينة الجزائر وأهل الرأي والمشورة[2]، لأن خير الدين عزم على السفر إلى إقليم الروم لأجل الغزو والمواصلة إلى الجهاد، حيث جمع أهل الجزائر من العلماء والصلحاء وقال لهم:(إني قد عزمت على السفر إلى حضرة السلطان وأمنت على بلادكم من العدو بما تركت فيكم من المجاهدين ومن وصل إليكم من أهل الأندلس، وما تركت عندكم من العدة لأني تركت في بلادكم أكثر من أربعمائة مدفع، ولم يكن من قبل في بلادكم ولو مدفع واحد).

فأبى عليه أهل الجزائر أن لا يفارقهم فقالوا له: "أيها الأمير لا تطبب لنا أنفسنا بفراقك ولا نسمح لك بذلك" ومن جملة ما خاطبه العلماء به أن قالوا له: "أيها الأمير يتعين جلوسك في هذه المدينة لأجل حراستها والدفاع عن ضعفاء أهلها، ولا رخصة لك في الذهاب عليهم وتركهم عرضة للعدو". فعند ذلك قال لهم خير الدين "أنتم رأيتم ما وقع من الملاعيين الكفار ولا يؤمن من عاملهم، فقد ظهر لي من الرأي أن نصل بيدنا بطاعة السلطان الأعظم، مولانا السلطان سليم[3]، ويمدنا بالمال والرجال وجميع ما نحتاج إليه من

---

[1] صلاح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، بدون ط، بدون ج، دار هومة، الجزائر، 2012، ص49.

[2] محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص53.

[3] السلطان سليم: هو سليم ابن السلطان با يزيد الثاني ولد عام 875هـ الموافق لسنة 1480م جلس تحت الملك سنة 918م ولقد وافته المنية سنة 926م، ينظر: حضرة عزتلو يوسف بك آصاف، تاريخ سلاطين بن عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تق: محمد زينهم محمد عزب، ط1، مكتبة مديولي، القاهرة، 1415هـ-1995م، ص ص56-59.

آلة الجهاد، ولا يكون ذلك إلا بصرف الخطية إليه وضرب السكة عليه". فرضي أهل المدينة بذلك وصوبوا رأيهم فيه، فأمر أن يكتبوا على لسانهم كتابا إليه يخبرونه بظروف طاعتهم كما كتب هو أيضا كتابا يتضمن مفهوم كتابهم[1]. ولقد صادقوا عن نص هذا الذي تقرر إرساله إلى السلطان سليم الأول تضمن مطلبا بأن يقبل ببسط حمايته على الجزائر. وتوجه أحد أخوان خير الدين وهو حاجي حسين حاملا الكتاب إلى اسطنبول وتخلى خير الدين عن صلاحيات السلطان السابق وأمر بالدعاء للسلطان سليم الأول في صلاة الجمعة، نظر الباب العالي بعين العطف إلى طلب.

ولقد رضي السلطان سليم الأول بضم الجزائر إلى مملكته وجعل خير الدين حاكما على الجزائر وأعمالها وأمده بجند فيه عدة آلاف من رجال الحرب المدربين مع السلاح، كما أرسل له الفرمان المتعلق بذلك مع شارة الاستحقاق وهي: السيف وهو لجان السلطة والطبل، كما سمح له بصك العملة تحمل اسم سيد الجزائر الجديد.

ولقد أذن له في ضرب السكة فصارت الجزائر من سنة 924هـ-1518م ولاية تركية مرتبطة بالدولة العثمانية أي تابعة لها، حيث تمتعت بالاستقرار الداخلي لأن الجزائر حينها أصبحت من ايالات الدولة العثمانية تابعة لسلطة السلطان في الباب العالي[2].

ولقد دخلت الجزائر تحت حكم الدولة العثمانية وأصبحت ضمن ولاياتها وأكسبها ذلك الوضع نوعا من الحماية ودرأ عنها كثيرا من الأخطار خاصة أطماع اسبانيا، كما سيأتي على أن الذي لا نزاع فيه هو أن عهد الأتراك يمثل عهد الأمجاد والبطولات

---

[1] محمد بن محمد بن عبد الرحمان الجيلاني بن رقية التلمساني، الزهرة الناثرة فيما جرى في الجزائر حين أعارت عليها جنود الكفرة، تع: خير الدين سعدي الجزائري، ط1، أوراق ثقافية، 2017، ص ص107-108.

[2] نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، بدون ط، بدون ج، دار الخمارة، بئر التوتة، الجزائر، 2006، ص69.

العسكرية والاستثمارات السياسية المرتبطة بها، لأن النبوغ كان واضحا في العقلية العسكرية أكثر من أي جانب آخر والسبب هو تعرض هذه البلاد لمحاولات الصليبيين الذين انهزموا وطردوا من الشرق وحاولوا أن يحققوا حلمهم بالمغرب الإسلامي وكان انتصار الإسبان على مسلمي الأندلس من العوامل التي أعزتهم وشجعتهم على تلك المحاولات، ولكن أبطال شمال إفريقيا لقنوهم درسا قاسيا وأشبعوهم من العزائم ما لم يستطيعوا نسيانه عبر قرون عديدة[1].

أي بعد أن أصبح إقليم الجزائر أول إقليم في شمال إفريقيا تحت لواء السيادة العثمانية ونتيجة حماية السلطان سليم الأول الرسمية للجزائر، فتعززت بذلك نفوذ خير الدين وقوي موقفه ضد الإسبان من جهة والقوى المتسابقة من جهة أخرى على استعادة نفوذها خاصة بني زيان والحفصيين، وهكذا تكونت إيالة الجزائر تحت إمارة خير الدين وبمباركة السلطان العثماني الذي منحه لقب الباشا وأمير البحر، ولقد ارتبط مصيرها بها وتعاون أهل البلاد مع القادة الجدد واعترافهم بالسلطان حاميا لهم كما اعترف هو بالسلطة الناشئة وتعاون الجميع على بناء الدولة وطرد الحاميات الإسبانية[2].

ولقد عين خير الدين في منصب "قبطان باشا" من قبل السلطة العليا للسلطان العثماني، وبذلك أصبح ميناء الجزائر "باشا ليك" تابعا للباب العالي[3].

ولقد كان بفضل الدعم العثماني ونتيجة للتحالف العثماني استطاع خير الدين أن يؤثر على مجرى الأمور في شمال إفريقيا ويوحد هذه البلدان إذ تمكنت القوات الجزائرية والعثمانية من إخراج الإسبانيين من تونس وطرابلس في القرن السادس عشر، وبذلك

---

[1] يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص16.

[2] محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص ص298-299.

[3] وليام شارل، مذكرات وليام شارل قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تع وتع، وتق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص41.

يمكن القول أن إنقاذ شمال إفريقيا وخاصة الجزائر من الاستعمار الإسباني يرجع في ذلك إلى الإخوة بربروس وتعاونهما مع الدولة العثمانية، إذ استطاع خير الدين أن ينتصر على الإسبانيين في هجومهم العنيف على مدينة الجزائر سنة 1519م وكذلك طرد الإسبان من برج الفنار في شهر ماي 1829م[1]، ولذلك يمكن أن نتحدث على الإجراءات التي استطاعت القوات العثمانية أن تنتصر على الاستعمار الإسباني والعمل على تحرير المدن الساحلية للجزائر حيث أن بعد الاستنجاد بالدولة العثمانية أي الإخوة بربروس وإلحاق الجزائر بالباب العالي عام 1519م عمل العثمانيون على تحرير المدن الساحلية الواقعة على طول الساحلي للجزائر.

رابعا: تحرير بعض المدن للسواحل الجزائرية

بعد أن شهدت الجزائر متغيرات عبر مختلف الأزمنة وبعد حدوث انهيار في الحكم الداخلي خاصة في العهد الزياني زادت أطماع الاسبانيين في احتلال السواحل الجزائرية وقد نجحت بذلك في السيطرة على مدنها، لكن بعد ظهور الإخوة بربروس الذين ذاعت شهرتهم في البحر المتوسط خلال القرن 16م، واستنجاد الجزائريين بهم من أجل تخليصهم من قبضة الإسبان وقاموا كل جهودهم من أجل تحريرها ومن المدن التي تم تحريرها نذكر:

1-محاولة تحرير بجاية من الإسبان عام 1512م

ابتداء من عام 1512م، بدأ عهد الإخوة بربروس يخترق آفاقا، مما سمع الناس عن انتصاراتهم الرائعة ضد القراصنة الإسبان في عرض البحر المتوسطي وشواطئ الأندلس، مما جعل علماء وأعيان بجاية الاتصال بهم لنجدتهم ورفع كابوس الإسبان عنهم

[1] نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص70.

وعن بجاية، فلبوا الرغبة وزحفوا الى المدينة بسفينة بحرية من حلف الوادي إذ لم ينجحوا في ذلك بسبب تحصينات الإسبان القوية، وتعاونوا أمراء قلعة بني عباس مع الإسبان ولقد جرح عروج وهو يحاول اقتحام المدينة مما اضطر المشرفون على علاجه وأن يقطعوا ذراعه بعد أن استعصى عليهم علاجها.

2-التمركز في جيجل

كانت خيبة عروج في نفسه في عدم نجاحه في تحرير بجاية ولقد كان حلف الوادي يمنعهم عن ميدان المعركة ولا يساعد على التفوق على الإسبان، وبذلك فروا للبحث عن مركز جديد لهم يكون قريب من بجاية ووجدوا أن جيجل هي أحسن مكان للتمركز والاستعداد[1]، كونها هي الأقرب إلى بجاية، وبذلك تكون منطلق لتحرير بجاية[2]. وبعد استنجاد أهل جيجل بالإخوة حيث تم تحريرها عام 1514 وتم نقل مركزها من حلف الوادي إلى بجاية[3].

3-المحاولة الثانية لتحرير بجاية 1514م

كان عروج وخير الدين بربروس يدركان أن تحرير بجاية سوف يؤدي إلى طرد الإسبان منها، وبذلك كان تحرير بجاية في نظر الإخوة بربروس مرحلة هامة ومصيرية في صراعها مع الإسبان، وبذلك راح ينتظران الفرصة المناسبة لتحريرها، وكذلك هذه المحاولة باءت بالفشل في تحريرها.

---

[1] يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ص11-12.

[2] طاهر تومي، المرجع نفسه، ص31.

[3] يحي بوعزيز، نفسه، ص12.

4-المحاولة الأولى لتحرير قلعة البنيون (1515م):

بعد سقوط قلعة البنيون في يد الإسبان وأصبحت تحت الحامية الإسبانية، وبعد أن بلغ أهالي الجزائر نبأ وفاة الملك الإسباني **فرديناند** سنة 1516م، أرسلوا إلى عروج في جيجل يستنجدونه لطرد الإسبان رغم المعارضة التي أبداها شيخ مدينة الجزائر سالم التومي، إذ فكر عروج وأخوه في تحرير مدينة الجزائر، ولقد تقدم له وفد مدينة الجزائر من أجل تحرير المدينة ولم يتردد من قبول الدعوة، بعدها دخل عروج المدينة مما استقبل الأفراد والأعيان والعلماء والأهالي على مشارف المدينة وبعد كل المحاولات التي قام بها عروج وأخوه خير الدين من أجل طرد الإسبان[1]، وبعد محاولة الإسبان في استرجاع الجزائر، إذ تصدى لهم الأتراك، وبعد القضاء على تمرد سالم التومي، والاستيلاء على مدينة الجزائر وكسر شوكة الإسبان[2]، حيث تمكن الإخوة من مساندة سكان أهل الجزائر، كذلك تمكن عروج من بسط نفوذه على المدينة ومليانة....إلخ.

5-تحرير قلعة تنس 1518م

تمكن الإخوة بربروس كذلك من الاستيلاء على تنس وذلك نتيجة إرسال سفينة حربية مشحونة بالجنود، التي مكنتهم من تحرير تنس وجاء هذا بعد استنجاد أهلها من عروج وأخيه من أجل فك الحصار عنهم وبعد أن وصل خير الدين سواحل تنس وحاصره الإسبان تم تثبيت أقدامه في تنس، وبعد أن أصبحت تنس تحت سلطة خير الدين[3]، كانت

[1] محمد دراج، المرجع نفسه، ص ص205-206.

[2] نفسه، ص ص215-216.

[3] نفسه، ص217.

تلمسان تشهد فوضى داخلية ونزاع بين بنو زيان، إذ التجأ أبو زيان إلى عروج مطالبا نجدته وإنقاذ تلمسان من التدخل الإسباني[1].

وبعد أن جاءت القوات الإسبانية في مايو 1518م لنجدة ابوحمو فحاصرت تلمسان فاضطر عروج لمغادرتها متجها إلى مدينة الجزائر، لكنه وقع في يدي الإسبان فقتلوه عام 1518م، حيث ظلت تلمسان في مصب التجارات المختلفة بسبب ضعف حكامها من الزيانيين مما اضطرهم للجوء إلى هذه أو تلك من القوات المتصارعة لمساندتهم حتى انتهى أمرها فيما بعد بإلحاقها بحكومة الجزائر التركية[2].

بعد استنجاد عروج كما ذكرنا من قبل، الذي كان قد أدى واجبه في الدفاع عن الإسلام والمسلمين حتى آخر نقطة من دمه غير أن حجم الكارثة كان أكبر من كل التصور فالإسبان كانوا فرحين بقتل عروج، إذ في الجهة الأخرى خيمة الحزن على مدينة الجزائر حيث كانت الصدمة قوية بصورة خاصة لأخيه خير الدين الذي عرف حياة الجهاد من خلال أخيه، إذ أن أهل الجزائر كانوا كذلك آثار الحزن بادية عليهم لأنهم كانوا قد وضعوا آمالهم على عاتق عروج ولكن هذا الأخير قادة المجاهد والتصدي ضد الإسبان حتى آخر نفس له وهو الاستشهاد والجهاد في سبيل الله[3].

لقد كانت الجهود التي بذلها عروج وأخوه خير الدين في إنهاء الدولة الزيانية، كما كانت كذلك إنذار لزوال الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية إذ تقلص وجودهم في

---

[1] شوقي عطا الله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، المرجع السابق، ص 85.

[2] نفسه، ص85.

[3] بسام العسلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر، (1547-1470م)، ط1، دار النفائس، الجزائر، 1980م، ص106.

المدن الساحلية، حيث أن عروج تمكن من تحرير بعض المناطق من أيدي الإسبان مثل: جيجل ودلس وتنس وشرشال، ومستغانم ومعسكر[1].

بعد أن أصبحت الجزائر تحت الحكم العثماني سنة 1519م، وتعيين خير الدين حاكم على الجزائر وأمل هذا الأخير جهاده ضد الإسبان، حيث شرع خير الدين عام1525م في مهاجمة السواحل المتوسط الغربية، ولما كثرت مغانمه نجح في جمع عدد كبير من الأعوان حيث تمكن من احتلال عنابة وقسنطينة، كما نجح في تأييد رجال القبائل الصغرى بتحالفه مع زعيم بني العباس عبد العزيز الذي ساعده ضد ابن القاضي[2].

حيث قتل رجال ابن القاضي زعيمهم وحملوا رأسه إلى خير الدين علامة على خضوعهم ودخل خير الدين الجزائر سنة 1525م، ثم قمع ثورات شرشال وتنس وقسنطينة[3].

6-تحرير حصن البيون عام 1529م من الإسبان:

لقد بني هذا الحصن منذ 18 سنة لمراقبة المدينة ومنع نشاط قراصنتها إذ حان الوقت للتخلص منه، كونه لقد تسبب في متاعب للإخوة بربروسة، بعد استقرارهم في الجزائر، وبذلك إبقاء سفن الأسطول خارج باب الواد وكان تعداده 20 سفينة وهذا حتى تعود بعيدة عن مدى المدفعية الإسبانية، مما كان يتطلب جهد من البحارة من أجل إعادتها إلى البحر، كما كان إصلاح السفن وتمويلها يتطلب ميناء صالح لذلك، ومؤمن مما كان

[1] محمد دراج، المرجع نفسه، ص ص224-225.

[2] محمد خير الدين فارس، المرجع السابق، ص32.

[3] نفسه، ص32.

من الضروري استرجاع حصن البنيون، الذين كان قاعدة آنذاك مارتين دي فارغاس ومعه 200 جندي وكان من الصعب تموينه للحصار الدائم المفروض عليه[1].

وبعد ذلك قرر خير الدين بنصب مدفعية مقابل قلعة البنيون، وتجديد ذخيرته من البارود والعتاد الحربي، كما تزود بالقطع المدفعية الكبيرة التي يحتاجها، وقام بإصلاح القطع الفاسدة وتجديدها من جديد مما سيعطيه الفرصة في مهاجمة القلعة في نهاية الأمر[2].

وقبل بدأ الهجوم قام خير الدين بإرسال طلب إلى حاكم القلعة يقترح عليه الاستسلام مقابل الأمان لكن هذا الأخير رفض العرض، وهو ما كان يتوقعه خير الدين لرفض هذا الطلب[3]، حيث قام خير الدين بقنبلة القلعة وإطلاق النار يوم 6 ماي 1529م، كما رد المسيحيون على إطلاق النار بعنف حيث قاموا بضرب المدينة بالكرات الحديدية والرصاص يسقط على المدينة، كما ركزت قصف مدافعهم على منارات المساجد خاصة منارة الجامع الكبير[4].

لقد كانت شدة القصف من الجانب الجزائري التي تسببت بإسقاط برجي المراقبة للحصن، كما تم تحطيم السور المحيط بالقلعة وقتل عدد كبير من المدافعين عنها[5]، وبعد أن تم تدمير ساحة القلعة وجزء كبير من تحصيناتها أعطى خير الدين أمرا عسكريا لكل السفن والقوارب بالتحرك وأطلق إشاعة بأنها متوجة للقتال على السواحل الإسبانية، إذ أنه في منتصف الليل دخلت المرسى واختبأت في ميناء تامونفوست، أما المسيحيون فقد أخذوا

---

[1] نجيب دكاني، المرجع السابق، ص70.

[2] كورين شوفاليه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة الجزائر 510هـ-1541م، تر: جمال حمدانة، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص ص46، 47.

[3] نجيب دكاني، نفسه، ص71.

[4] كورين شوفاليه، نفسه، ص47.

[5] نجيب دكاني، المرجع نفسه، ص71.

قليلا من الراحة بعد يوم كامل من المعارك المميتة، في ليلة الخميس 26 إلى يوم الجمعة 27 ماي اقتربت القوارب من الجزيرة بحيث حاصرتها في الصباح وفي المساء، إذ بعد ذلك قفز الجزائريون إلى الأرض وانقضوا بكل قوة على من بقي في القلعة بعد المعركة الحامية وحملوهم معهم حيث وقع في أيديهم 90 جنديا من أصل 150 كانوا موجودين في الموقع و25 امرأة وطفلا أصبحوا عبيدا لهم[1].

وبعد أن تم هدم الحصن حتى وصلت سفينة إسبانية تحمل الجنود والذخيرة إلى خليج الجزائر، إذ في الوقت الذي كان قائدها يبحث عن الحصن معتقدا أنه أخطأ الطريق، إذ انقض عليه خير الدين وهاجمه واستولى على السفينة في يوم 1 جوان من عام 1529م إذ كان على متنها 700 جندي أضيفوا لأسرى الحصن، حيث خلال عامين عمل أكثر من 2000 أسير في هذا المشروع العظيم كما أضافوا إلى الأنقاد صخور ضخمة التي جلبت من المحاجز إذ اجتمعت الجزر الأربعة لتشكل نواة الميناء ومنذ ذلك اليوم أصبحت الجزائر كابوس يثير الرعب والهلع في حوض البحر المتوسط والمكان المفضل للقراصنة فالدولة تشكلت نهائيا[2].

على إثر سقوط القلعة الإسبانية لحصن البنيون ودفع فعل كبير في كل إفريقية الشمالية وفي إسبانيا إذ هاجم الساحل بجاية دون نجاح وأعلن سلطان تلمساني عبد الله رفضه للتبعية الاسبانية ولقد امتنع عن تقديم الجزية، مما أقلق نجاح خير الدين الإسبان إذ وجهوا حملة قادها اندريه دوريا للاستيلاء على شرشال لكنها باءت بالفشل عام 1531م[3].

[1] كورين شوفاليه، نفسه، ص ص47-48.

[2] نجيب دكاني، نفسه، ص ص71-72.

[3] محمد خير الدين فارس، المرجع نفسه، ص33.

7-تحرير بجاية نهائيا من قبل صالح رايس 1555م:

تم الانطلاق من مدينة الجزائر في جوان سنة 1555م برا على رأس 3000 جندي بينما أرسل بعض السفن محملة بـــ 14 مدفع بذخيرته، واستطاع إنزالها بسهولة عندما توغل عبر واد الصومام لارتفاع منسوب المياه بسبب الأمطار بدا هجومه ابتداء من 16 سبتمبر من نفس السنة باستعمال مدفعيته من ناحيتين، وبعد يوم ونصف من القصف تم تدمير القصر الإمبراطوري كليا، التدمير نفسه لحق بالقصر الواقع قرب البحر، البحر الذي لم يصمد، بينما القصبة فتحطمت في اليوم السادس، حيث تم كذلك تصويب نيران مدفعيته نحو سفينة إسبانية وصلت لتوها بالذخيرة ولقد جرت جنود الحامية فأغرقتها. عندما تأكد صالح رايس[1] من نجاح جملته أرسل إلى قائد الحامية يعرض عليه الاستسلام، وهذا ما قبله الحاكم فسمح له وللجرحى والمعطوبين الذي كان عددهم 120 شخص للتوجه إلى إسبانيا، وحررت بجاية ودخلها صالح رايس فاتحا في سبتمبر عام 1555م، بعدها تم الاستيلاء على غنائم كثيرة هامة منها 800 أسير، في حين الحاكم الإسباني دون ألونسوا بيريرا فمباشرة بعد وصوله تم الحكم عليه أمام مجلس حربي وحكم عليه بالإعدام وقطعت رأسه لتعلق في ساحة مدينة فلادوليد، حيث أن فقدان بجاية ترك أثرا عميقا على كل الشعب الإسباني، وكان ذلك بسبب الحكم القاسي الذي أصدره الملك[2].

ترك صالح رايس حامية تكونت من 400 رجل بقيادة علي ساردو، حيث قام هذا الأخير بإعادة بناء تحصينات المدينة وميناءها، وتم إرسال من قبل السلطان سليمان

---

[1] صالح رايس: ولد بالإسكندرية في زمن السلطان سليم الأول، كان يعرف بشجاعته فمنذ سنة 1529م أصبح ضمن طليعة رياس البحر، تولى شؤون الإيالة الجزائرية سنة 1550م، تم تحرير بجاية من قبله نهائيا عام 1555م، توفي سنة 1556م بمرض الطاعون بوهران، ينظر: زغار محمد مختار، صالح رايس بطل الوحدة والجهاد 1552-1556م، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، م2، ع4، 2020م، ص ص90-91.

[2] نجيب دكاني، المرجع نفسه، ص ص121-122.

القانوني، الولي صالح رايس طالبا منه مكافئة القائد حسن قورصو بـــ 300 ألف أقجة لبلائه الحسن في فتح بجاية، بعد ذلك اتخذ صالح رايس الخطوة الموالية وسعيه لتحرير وهران والمرسى الكبير، إذ وضع خطة للهجوم عليها برا وبحرا على غرار بجاية، ولقد علم بالمراسلات التي كانت بين السلطان السعدي محمد الشيخ وإسبانيا الذي طلب النجدة بـــ 12000 جندي إسباني يتكفل بها كليا إذ تعهد لهم بالسيطرة على الجزائر، ومن جهة أخرى توجه صالح رايس نحو الباب العالي لطلب النجدة العاجلة وذلك من اجل توجيه ضربة قوية للإسبان وحاكم المغرب وفعلا حصل على 40 سفينة و6 ألاف رجل من قبل السلطان[1].

عندما اجتمعت القوات الجزائرية، وقبل تحركها توفي صالح رايس بالطاعون عن عمر يناهز[2] 70 سنة، وذلك في فريق 1556م، إذ تولى خليفته حسان قورصو في تسيير شؤون الإيالة وواصل حملته على وهران، بحيث بدأ بحصارها وقنبلتها، ولكن بعد أن وصل نبأ وفاة صالح رايس إلى اسطنبول دفع بالسلطان إلى استدعاء الأسطول الذي أرسله، وذلك تحت ضغط الحاشية تخوفا من تولي آغا الانكشارية قيادة الحملة وربما يشجعه ذلك على الانفصال، إذ كان هناك سبب آخر في استدعاء الأسطول وهو وجود دروبا في مياه البوسفور وضرورة الاحتياط لذلك، وكان ذلك أول سبب دفع بالانكشارية إلى التذمر والسخط بعد انسحاب الأسطول العثماني ومنعهم من تحرير وهران[3]، بالإضافة إلى ذلك حسن سيرة وتسيير حسن قورصو[4].

---

[1] نجيب دكاني، المرجع نفسه، ص122.

[2] كانت مدينة الجزائر وضواحيها قد عرفت انتشارا مهيبا لمرض الطاعون الذي فتك بالكثير وذلك طيلة ستة أشهر، أنظر: نجيب دكاني، مرجع سابق، ص122.

[3] نجيب دكاني، نفسه، ص122.

[4] حسن قورصو: هو علم من كورسيكابو مسلوك لصالح رايس ويعد من البحارة الذين عرف خلال العهد العثماني، ينظر: أسماء إبلالي، المرجع السابق، ص59.

وتجدر الإشارة إلى أن سكان مدينة بجاية من البربر والعرب الذين قاموا الاحتلال الاسباني طيلة فترة احتلاله للمدينة رغم إصرار المصادر الاسبانية على تعييبه، وجعل الصراع في بجاية يدور بين الأتراك والإسبان، كما يعد تحرير بجاية سنة1555م الذي كان على يد صالح باشا تشجيعا للعثمانيين والعرب بالجزائر على تحرير مستغانم كذلك سنة 1555م، ووهران والمرسى الكبير سنة 1732م ثم سنة 1792م وتعتبر السنة التي حققت فيها الجزائر وحدتها الترابية قبل أن يداهمها الاحتلال الفرنسي الذي استفاد كثيرا من أخطاء الاحتلال الإسباني والوجود التركي العثماني بالجزائر[1].

7-تحرير وهران والمرسى الكبير

أ-التحرير الأول لوهران والمرسى الكبير عام 1708م

بدأ التحضير للمعركة من جانب الباي مصطفى بوشلاغم منذ عام 1704م، وفي 1705م بدأ حصاره للمدينة وازداد التضييق عليها، وبعد سنتين من المناوشات والحصار أرسل داي مدينة الجزائر محمد بكداش نسيبه القائد العسكري أوزن حسن، وتزامن هذه الوصول وصول الحاكم العام الجديد لوهران والمرسى الكبير دون كارل دي كارييفا ومعه إحدى فرسان القديس يوحنا. وقبل مغادرة الحاكم العام اتهم ثمانية من يهود وهران بإجراء اتصالات سرية مع أعدائهم. حيث كانت من المصادر المحلية التي أرخت لفتح وهران الأول عام 1708م هو كتاب التحفة المرضية في الدولة البكداشية "لمؤلفه محمد بن ميمون الجزائري، وهو كتاب آخر لفتح وهران على يد الداي محمد بكداش الذي حكم الجزائر ما بين (1707م-1710م) حيث كان أول حصن احتله الباي مصطفى بوشلاغم هو حصن العيون: (حصن سان فرنسيسكو)، إذ بعد سقوط هذا الحصن هاجم رجال القبائل

[1] بن عتو بلبروات، بجاية من الاحتلال الإسباني إلى التحرير العثماني 1510، 1594، عصور الجديدة، ع7، 8، 2012م-2013م، ص ص186-187.

المتعاونين مع الباي حصن سانتا كروز، ولقد ساعدهم بذلك مهندسون مسيحيون يشرفون على سلاح المدفعية ودخل المهاجرون بسهولة إلى الحصن[1].

ولقد أدى سقوط حصن سانتا كروز الذي كان يعتبر في غاية الأهمية الكبيرة الذي كان يشرف على المدينة، وأمام هذا الوضع المدني طلب الحاكم العام دون كارلس كارييفا النجدة من إسبانيا، ولكن دون جدوى ومن بين الأسباب التي أدت إلى عدم تقديم أي مساعدة لمدينة وهران المعاصرة إذ قال في ذلك جون وولف: "إن في السنوات الأخيرة من حكم شارل الثاني "كارلس الثاني" كانت سلطة العرش الاسباني متدهورة لدرجة أنه لا يمكن أن يقوم إلا بعمل ضئيل لحماية رعايا الملك، وبعد وفاة شارل الثاني سنة 1700م نشبت حروب أوروبية من أجل تقرير حق الخلافة على العرش الإسباني، ولقد أصبحت هذه الحرب أهلية في إسبانيا مع أنصار شارل الثالث الهامبستورغي وأنصار فليب الخامس البوربوني"، وبذلك أمام هذا الوضع استغل الأتراك العثمانيون الفرصة للانقضاض على وهران[2].

ولذلك لم تستطع اسبانيا تقديم يد المساعدة لقواتها التي كانت في وهران والمرسى الكبير حيث أقل ما قامت به السلطات الإسبانية هو تغير الحاكم العام دون كارلس كارييفا وتم استبداله بادون مليتشور دي أبياندا، حيث غادر الحاكم وهران واصطحب معه الكثير من النسوة الإسبانيات، والكؤوس المقدسة، والصور، وكل ما يمكن حمله، إذ كانت وهران تتعرض مدة الحصار إلى القصف ومحاولة الدخول لها، فضعفت معنويات الجنود الإسبان، ومن خلال هذا الوضع قرر الجنود الإسبان بالانسحاب من المدينة عبر السفن

[1] هاشمي بن براهيم، قبائل وهران والاحتلال الاسباني قراءة في مواقف التحالف والولاء، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، 2020-2021م، ص ص131-132.

[2] مرجع نفسه، ص132.

والقوارب البحرية، إذ بعد ذلك دخل مصطفى بوشلاغم[1] مع القبائل المتعاونين معه لفتح وهران يوم 20 جانفي 1708م.

في حين أن المرسى الكبير لقد كان هناك أعداد كبيرة من الجنود الإسبان الفارين من وهران بحيث تجمعوا فيها إلى حين انتظار فرصة للهروب إلى الضفة الأخرى من البحر المتوسط، لكن القائد حسن أوزن حاصر المرسى الكبير من جهة البحر في حين آخر حاصر الجيش البحري المدينة من البر، لقد استطاع الجزائريون أن يحدثوا فتحة في جدار المدينة واستطاعوا أن يدخلوا ويقتلوا ثلاثة آلاف شخص، حيث كانت حصيلة الأسرى في مدينة وهران نحو 545 أسير دون احتساب الأطفال والنساء إضافة إلى أسر 106 رجل و6 نسوة في حصن سانتاكروز[2].

بعد أن كانت وهران قد فتحت على يد مصطفى بوشلاغم الذي حكم مدينة وهران أربعة وعشرين عاما، حيث كانت هذه الفترة قصيرة جدا، لأنه بعد أن تمكنت العائلة الحاكمة الجديدة في اسبانيا من ترتيب أمور الحكم وإنهاء الحروب الأوروبية، قررت اسبانيا استرجاع وهران والمرسى الكبير حيث جهزت جملة عسكرية بعثت من مدريد يوم 15 جوان وكانت بقيادة منتيمور بتعداد 23 ألف جندي منهم 24 سرية من الفرسان مجموعهم كان 3400 فارس إضافة إلى قطع بحرية حربية. وصل الأسطول الإسباني إلى مشارف وهران يوم 25 جوان من السنة نفسها، في حين كان عدد الجيش تحت قيادة الباي بوشلاغم تتراوح ما بين 10 إلى 12 ألف جندي من المشاة والفرسان، لكن بعد المناوشات التي دارت بين الجيشين، قرب المرسى الكبير تراجع جيش الباي مصطفى إلى

[1] مصطفى بوشلاغم، هو الباي الذي حكم مدينة وهران لمدة 24 عاما بعد أن فتحت على يده وكانت مدة حكمه قصيرة جدا.

[2] هاشمي بن براهيم، المرجع نفسه، ص ص132-133.

الخلف وذلك بسبب قوة نيران المدفعية الإسبانية، والتنظيم الجيد لصفوف الجيش الإسباني، لكن حامية المرسى لم تستسلم إلا باستسلام مدينة وهران[1].

ورغم سعي الباي مصطفى بوشلاغم للتصدي لمقاومة الإسبان إلا أنه كان دون جدوى وذلك بسبب عدم حصوله على مدد كافي من مدينة الجزائر مما جعله ينسحب من وهران دون مقاومة، وبذلك انتهى عهد الباي مصطفى بوشلاغم (1732-1708)، وبدأ الاحتلال الإسباني من جديد، بعد اتزان الأمور لصالح الإسبان غادر الحاكم الكونت مونتمار إلى إسبانيا مخلفا وراءه إلى الحاكم الجديد لوهران والمرسى الكبير، الماركيزدي سانتا كزوزدال مرتنادو مع 10 كتائب من الجيش بوهران، حيث تم استقباله في إشبيلية من طرف الملك فليب الخامس[2]، استقبال الأبطال وذلك في 14 من شهر أوت[3].

ب-التحرير النهائي لوهران والمرسى الكبير عام 1792م

استغل الباي محمد بن عثمان الكبير الزلزال الذي وقع في وهران عام 1790م إذ بعث إلى الداي محمد بن عثمان باشا يطلب منه يد العون ويشرح له الأوضاع الذي آلت إليه وهران بعد الزلزال وحالة الضعف الشديد التي أصبح عليه الإسبان ولقد أذن له الداي بالحصار، مما كانت هذه المرحلة من مراحل تحرير وهران خلال العهد العثماني والتي سعى إليها الجزائر، إذ عزم الباي على فك الحصار على وهران ولقد قامت في تلك الفترة عدة اتفاقيات بين وهران والإسبان[4].

---

[1] نفسه، ص ص133-134.

[2] فليب الخامس: هو ملك اسبانيا ولد في عام 1683، كان ملك على مملكة إسبانية إذ في فترة حكمه قام باستقبال حاكم وهران من قبل بكل سرور واستقبال الأبطال.

[3] هاشمي بن إبراهيم، المرجع نفسه، ص135.

[4] طاهر تومي، المرجع نفسه، ص ص285-287.

لقد استمرت المعارك بين الطرفين طوال فصلي الربيع والصيف من سنة 1791م، ولقد كانت أكثر عنفا خلال شهري ماي وجويلية[1].

ولقد وقع بين 1791-1792م حيث اعتبرت هذه الفترة من الصراع الإسباني العثماني المتجدد حول وهران والمرسى الكبير، إذ عقدت معاهدة صلح بين الجزائر وإسبانيا في يوم 12 سبتمبر عام 1792، التي اشتملت على تسعة فصول، إذ تم بموجب هذه المعاهدة الانسحاب التدريجي من وهران والمرسى الكبير مقابل الحصول على امتيازات اقتصادية، إذ لم تتم المصادقة على هذه المعاهدة إلا في يوم 9 ديسمبر 1791م[2].

وفي أعقاب الاتفاق على شروط الصلح، كرم الداي حسن باشا[3]، الباي محمد ابن عثمان الكردي ولقبه بالكبير وذلك تعظيما لجلالته من خلال الأعمال والمجهودات التي قدمها كذلك ألبسه الريشة الذهبية ولقد أوكل له أمر وهران بعد دخولها.

وتطبيقا لبنود المعاهدة التي ذكرنا سابقا، بدأ الانسحاب الإسباني من وهران بتاريخ 17ديسمبر 1791م، إذ تم ترحيل آخر للإسبان في فيفري عام 1792م، وبذلك ينتهي نهائيا الصراع الجزائري الإسباني إذ بذلك تبدأ صفقة جديدة من العلاقات بين الطرفين أساسها المنفعة والاحترام المتبادل[4].

---

[1] نفسه، ص288.

[2] بلبروات بن عتوا التحرير النهائي لوهران والمرسى الكبير عام 1706م/1798م، م عصور، ع4، 5، 2003م، ص268.

[3] حسن باشا: هو الابن الوحيد لخير الدين من امرأة جزائرية أي كرغلي عين في بادئ الأمر كنائب لوالده في الجزائر عام 1544م، ثم رقي إلى منصب بكربك بايلر باي) بعد وفاة والده عام 1546م، كلف بهذا المنصب ثلاث مرات، ينظر: أسماء ابلالي، المرجع السابق، ص58.

[4] طاهر تومي، المرجع نفسه، ص292.

وبذلك استطاعت الجزائر خلال العهد العثماني التخلص من الغزو الإسباني نهائيا وتحرير مناطقها الساحلية المطلى على البحر الأبيض المتوسط.

وفي يوم الاثنين 27 فبراير عام 1792م، دخل الباي محمد الكبير مدينة وهران رفقة عائلته وضباطه وعلمائه وجيشه في جو احتفالي، وفي اليوم ذاته توجه إلى المرسى الكبير، ثم كتب إلى الداي حسن باشا وسلطان الدولة العثمانية وأمراء الأقطار الصديقة لإيالة الجزائر، ليبشرهم بالفتح الذي قام به بوهران والمرسى الكبير، كذلك دعا الباي محمد الكبير[1] إلى تعمير وهران من مختلف المدن للإيالة، وأيضا من وجدة وفاس ومراكش، وفي هذا السياق يعتبر الباي محمد الكبير أول حاكم عثماني، يؤسس لوجود الطائفة اليهودية لمدينة وهران، قصد بعث الحيوية والنشاط التجاري والعمراني للمدينة وبذلك تصبح وهران مدينة ذات نفوذ وتطور[2].

[1] محمد الكبير: ولد بمليانة ولد بين 1734-1739م، كان باي لوهران عام 1792م، توفي عام 1797 وهو راجع إلى مدينة الجزائر، ينظر: بلبروات بن عتو، الباي محمد الكبير، باي وهران 1779-1797م، حياته وسيرته، عصور، ع3، 2013م، ص ص1-5.

[2] بلبروات بن عتو، التحرير النهائي لوهران والمرسى الكبير، المرجع نفسه، ص269.

الفصل الأول

الأسطول البحري ونشأته

المبحث الأول: النشأة والتطور

أولا: نشأة البحرية الجزائرية

عرفت البحرية الجزائرية طيلة تاريخها الطويل عدة مراحل متميزة، فبعد الماضي البحري العريق في الفترة السابقة للإسلام، تشكلت النواة الأولى للقوة البحرية الجزائرية إثر الفتح الإسلامي للمغرب في القرن السابع الميلادي، حيث لعبت البحرية الإسلامية الناشئة ببلاد المغرب دور كبير في إبعاد الخطر البيزنطي على السواحل بعد أن نقل البزنطيون قوتهم البحرية إلى غرب المتوسط إثر معركة ذات السواري (34ه- 654م)، إذ تمكن حسان بن النعمان بعد الاستيلاء على قرطاج (75هـ-694م)، من تكوين نواة للأسطول الإسلامي بالمغرب وذلك عملا بتوجيهات الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز القاضية بإنشاء دار السفن إفريقيا واستقدام الصناع المهرة لهذا الغرض من مصر.

ساعد تطور البحرية الإسلامية بالمغرب حيث تم إنشاء ترسانة للسفن بتونس بأمر من الوالي عبد الله بن الحبحاب (114هـ- 732م)، إذ بدأت البحرية الإسلامية الناشئة بالمغرب بتحقيق مهام خطيرة أثرت على تطور الأحداث بالحوض الغربي للمتوسط، تمثلت خاصة في العبور إلى الأندلس (92هـ-711م)، إذ تم العمل على فتح صقلية بعد محاولات بحرية متعددة (752-720م) بعد ذلك استكمل المسلمون الاستيلاء عليها بقيادة أسد بن الفرات، وقد ساهم الأسطول المغربي في فرض سيادة المسلمين على جزيرة سردينيا (752-711م) [1].

ولقد بدأت البحرية الجزائرية تتميز بنوع من الاستقلال عن باقي الأساطيل المغربية، حيث أصبحت تشكل قوة بحرية خاصة كان لها دور مهم في مواجهة التحدي

---

[1] نصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2008، ص ص129-130.

المسـيحي علـى عهـد الحمـاديين (1008-1163م) والمـرابطين (1073-1147م) والموحدين (1130-1226م) وبني زيان (1236-1554م)، إذ تركزت قواعدها بمـدن عنابة وبجاية ودلس ووهران والمرسى الكبيروهنين وبذلك أصبحت قطع البحرية الوسيلة الفعالة في الدفاع عن السواحل الجزائرية ورد الهجمات الأوروبية عنها رغم ظهور قـوة التورمان البحرية مما أدى إلى اختلال التوازن بالمتوسط بفعل تزايـد قـوة النصـارى البحرية[1].

بعد الماضي الإسلامي الحافل دخلت البحرية الجزائرية مع ضعف دولة بني زيان في القرن الرابع عشر فترة ركود تميزت بتحول البحرية من مهامها الجهادية إلى وسـيلة لضمان التبادل التجاري بين البلاد الأوروبية والموانئ الجزائرية التابعة للزيانيين، وهـي هنين والمرسى الكبير ووهران ومستغانم ودلس، لكن مع تزايد ضغط النصارى وتركـز هجماتهم على أقاليم الأندلس مع توافد عدد كبير من البحارة الأندلسيين، مما جعل نشـاط القطع البحرية الجزائرية يتحول إلى الدفاع عن السواحل ومهاجمـة السـفن الأوروبيـة الراسية بها، ولقد تعددت الغارات على الشواطئ الإسبانية خاصة مع تغير موازين القوى بالمتوسط واشتداد التنافس الدولي الإسباني العثماني من أجل الفوز بالسيادة على الحوض الغربي للبحر المتوسط، ولقد صاحب هذا الصراع العالمي ظهور الدولة الجزائرية الحديثة وتطورها في نطاق الإمبراطورية العثمانية (1518-1830) [2].

وللحديث عن بداية النشاط البحري للجزائر في الفترة الحديثة لابد أن نذكر ونعود إلى أمر استنجاد سكان الجزائر بالإخوة بربروس كما ذكرنا سابقا في دراسة موضوعنا، وقد عمل الإخوة على إرساء وجودهم بضرورة بناء قوة بحرية، حيث كانت انتصـارات

---

[1] عطلي محمد الأمين، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية، رسالة ماجستير، تاريخ الجزائر الحديث، المركز الجامعي بغرداية ،2012، ص.ص.44.43.

[2] نصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص132.

العثمانيين، الإخوة بربروس قد بدأت تصل للسكان الذين فكروا بالاستنجاد بهم، فعــروج وخير الدين الذين أثبتوا تعاونهم مع سكان البلاد، ولقد أبلوا بلاء حسنا في كل من جيجل، وبجاية ثم الجزائر ووهران، وبعد كل هذه الانتصارات جعل عروج محمد أنظـــار كـــل الجزائريين وبمساعدة أخيه خير الدين، تحول إلى قوة بارزة كانت قد ســادت فـــي تلـــك الفترة[1].

ولكن بعد نكبة خير الدين التي كانت في مقتل أخويه عروج وإســحاق وأن أمــر بقاءه كان بإلحاح من الجزائريين[2]، لأن خير الدين كان قد عزم على مغــادرة الجزائــر والسفر إلى اسطنبول من أجل الحصول على أسطول جديد، واستئناف الغزو والجهاد في سبيل الله، فقال له أعيان مدينة الجزائر: "أيها الأمير، لا تطيب أنفسنا بفراقك، ولا نســمح لك بذلك، فإن الله تعالى قد نصرنا بك على العدو، وحصل في قلوبهم الرعــب منــك.... وجعلوا يتضرعون بين يديه، ويظهرون التأسف على فراقه....." [3].

لكن خير الدين وضع مجموعة من الشروط من أجل بقائه، وافق عليهــا أعيــان، وسكان الجزائر قائلا: "أنتم رأيتم ما وقع من الملاعين الكافرين، ولا يؤمن عواملهم، وقد ظهر لي من الرأي أن نصل يدنا بطاعة السلطان الأعظم مولانا السلطان ســليم، فيمــدنا بالمال والرجال وجميع ما نحتاج إليه من آلة الجهاد ولا يكون إلا بصرف الخطبة إليــه، وضرب السكة عليه"[4].

---

[1] عطلي محمد الأمين، المرجع نفسه، ص ص43-44.

[2] جمال الدين سهيل، ملامح من شخصية الجزائر خلال القرن 11هـ/17م، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 13، 2011، قسم التاريخ المركز الجامعي غرداية، غرداية، الجزائر، ص139.

[3] عطلي محمد الأمين، نفسه ص44.

[4] جمال الدين سهيل، المرجع السابق، ص139.

إذ عرض خير الدين عليهم فكرة إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، وإدخالها ضمن أملاكها حتى تكتسب نوعا من الحماية الدولية وبذلك يستطيع خير الدين من خـــلال هـــذه الحماية بناء قوة برية وبحرية قادرة على التصدي ضد الأمم الأوروبية بمساعدة الدولـــة العثمانية، وتدل هذه الفكرة على ذكاء خير الدين إذ بعد نظره أدرك أنه مع تصاعد الخطر الإسباني، لأن الدولة العثمانية هي الدولة الوحيدة القادرة على دعمـــه، فاستحســـن كبـــار المدينة الرأي، حيث قام خير الدين بإرسال رسالة باسم الأعيان والفقهاء والأئمة والتجار، وكافة مدينة الجزائر العامرة، مع وفد برئاسة الحاج حسين إلى السلطان سليم الأول[1]، سنة 1518م، الذي كان موجودا بمصر، وجاء في هذه الرسالة ما يلي:

"...إننا ندعو بالسعادة والنصر لمقام السلطنة العلية، ونكتب لمقامها العالي، معبرين ومعترفين بالإجلاء والتعظيم، أطعنا أمركم وعليكم لا محالة اعتمادنا، لقد جبرت أحـــداث جليلة، حيث استولى الكفار على بلاد الأندلس، وانتقلوا منها إلى قلعة وهـــران وبجايـــة، وشددوا علينا الطلب، وآنذاك قدم ناصر الدين وحامي المســـلمين أروج فقبلنـــاه بـــالعزم والكرم، إننا على غاية من الضعف والبلاء، ولهذا أرسلنا إلى بابكم العالي الفقيه العالم سي أبو العباس أحمد راجين خدمة مقامكم العالي...". فقبل السلطان سليم الأول عرضهم قبولا حسنا إذ أرسل له 2000 جندي إنكشاري مسلحين بالبنادق وعدد من رجال المدفعية، مع مدفعيتهم وعددا من المتطوعين كذلك معهم مجموعة من السفن الحربيـــة، ونعـــد هـــذه المساعدة جزاء من المساعدات التي كان يقدمها السلطان إلى الإخوة[2] برباروس[3].

[1] عطلي محمد الأمين، المرجع السابق، ص45.

[2] عطلي محمد أمين، نفسه، ص ص45-46.

[3] برباروس: BARBEROUSSE اسم أطلق على الأخوين عروج وخير الدين، ينظر: بسام العسلي، خير الدين بربروس...، المرجع السابق، ص26.

كما تم تعيين خير الدين أول حاكم عثماني على الجزائر باسم البايلر باي[1]. وبهذا الصدد يقول الصلابي "..... إن الجزائر تمثل ورقة رابحة باعتبارها مدينة شاسعة تتوسط ساحل المغرب الكبير، وتشمل على فضاء إستراتيجي من الدرجة الأولى، بالنسبة لقوى تلك الفترة، فليس من باب قاعدة عسكرية متقدمة لتركيا، في هذا الجزء الغربي من البحر المتوسط أحسن منها..."، وبذلك أصبحت الجزائر إحدى ولايات الخلافة العثمانية، مما أكسبها ذلك الوضع نوعا من الحماية وردع عنها الكثير من الأخطار خاصة الخطر الإسباني[2]. وذلك بسبب موقعها الجغرافي الإستراتيجي، الذي كان يتحكم في معظم الحوض الغربي للبحر المتوسط، وذلك من محور مالطا إلى مضيق جبل طارق، مما تطلب من حكومة الجزائر حماية سواحلها من الغزو الأجنبي[3].

ثانيا: بداية نشاط البحرية الجزائرية

لم تكن القوة البحرية والأسطول، بأقل شأن من القوات البرية، حيث أن امتلاك الأتراك لأسطول بحري قوي كان من الأسباب التي مكنتهم من الاستقرار في الجزائر، حتى حولوا هذا الأسطول إلى مؤسسة، بحيث شكلت محورا مهم في قوتها العسكرية، وجعل منها قوة بحرية صلبة جعلها تقف في وجه وصد كل الهجمات والحملات المتكررة التي كانت الدول الأوروبية تشنها على مدينة الجزائر، وخدمة الإستراتيجية العثمانية لبحريتها في حوض البحر المتوسط[4].

---

[1] البايلرباي: اي باي البايات أو أمير الأمراء، وهو اللقب الذي يحمله حكام الجزائر، في الفترة الممتدة من 925-995هـ / 1519-1830م، كانوا يعينون لفترة غير محددة.

[2] عطلي محمد أمين، المرجع نفسه، ص46.

[3] جمال الدين سهيل، المرجع نفسه، ص140.

[4] عطلي محمد أمين، نفسه، ص47.

وتكونت النواة الأولى للبحرية الجزائرية من الذين جاء بهم الإخوة بربروس، من بحارة من المشرق، وبعد أن وطد الإخوة سلطتهم في الجزائر، إذ اهتموا كثيرا بتنمية، وتطوير هذه النواة من الناحيتين المادية والبشرية، إذ أنشئوا مجموعة من المراكب البحرية، كما تمركزوا بها في مدينة الجزائر واتخذوا مينائها، بعد تطويره وتحصينه وتصليحه ودعمه بالبطاريات والمدافع، كقاعدة بحرية هامة لبناء المراكب الجديدة. وإصلاح القديمة والمعطوبة وتجهيزها، كما تم اتخاذهم لموانئ الساحل الجزائري قواعد بحرية لهذا الأسطول الحديث، الذين سيلعب دور الرائد في معظم الأحداث في الحوض البحر المتوسط لمدة تزيد عن ثلاثة قرون[1].

وأما عن بداية نشاط البحرية في البحر قال خير الدين في هذا الصدد: "عندما رجعت إلى الجزائر قسمت أسطولي إلى وحدات صغيرة، وأرسلتها للغزو تحت إمرة سنان رئيس. إذ في الليلة السابقة لخروجها الغزو رأيت في المنام رؤيا صالحة جعلتني أشعر بأنها ستكون غزوة مباركة. وبالفعل عادت ست سفني تجر ست سفن ثم غنمها من الكفار، كانت إحداها مشحونة بالبارود والرصاص وقذائف المدفع، إضافة إلى ستين قذيفة من البرونز، شعرت بسرور عارم لهذه الغنائم لأننا كنا في حاجة إليها"[2].

ويقول كذلك "عادة الأسطول إلى الجزائر سالما لم يصب باي أذى والحمد لله حمدا كثيرا على فضله"[3].

وبعد التحاق الجزائر بالدولة العثمانية أصبحت ملكة مدن القرصنة، إضافة إلى انهزام الإسبان بالجزائر عام 1541م وفي تونس 1574م، كما انهزمت كذلك في العديد

---

[1] جمال الدين، نفسه، ص140.

[2] مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2010، ص133.

[3] نفسه، ص134.

من العمليات البحرية القوية، في شمال إفريقيا في القرن 16، ويشهد "هايدو" ومراقبون آخرون، بتفوق بناء السفن الجزائرية، في أحواض: شرشال[1]، جيجل، بجاية، الجزائر، ومراكز أخرى، كذلك من بين الأحداث البحرية الهامة في تاريخ الجزائر، عندما استعمل خير الدين 45 سفينة، لطرد الإسبان إذ يذكر هايدو: أن النشاط البحري الجزائري، في هذه المرحلة تواصل واشتد إذ سنة 1540 م هاجمت 16 سفينة جزائرية "Mondoza" الرئيس العام للسفن الإسبانية[2].

كما جمع مؤرخو الجزائر، على أن هذه الحقبة التاريخية تمثل العصر الذهبي للبحرية الجزائرية، إذ لم ينقض العقد الثاني من القرن السابع عشر، حتى بلغت البحرية الجزائرية قوة غارقة، ولقد أثار هذا الأمر دهشة السفير الإنجليزي كوتنغهار الذي كان في البلاد الإسبانية فقال: "إن قوة وجرأة قراصنة شمال إفريقيا هما الآن على هذا النحو من الفخامة سواء في البحر الأبيض المتوسط أو في المحيط الأطلسي، وأشهد أنني لم أعرف في حياتي شيئا قد جلب إلى البلاط الإسباني الأسى العميق، والخراب الكثير غير هؤلاء القراصنة[3].

ولقد كان نشاط البحرية الجزائرية في البحر العمود الفقري للأسطول مدينة الجزائر، وذلك من خلال موارد الغزو البحري، وكذلك عن طريق افتداء الأسرى العبيد المسيحيين وملء أسواق المدينة بالبضائع التي يتم غنمها، حيث تعود رياس البحر الجزائريين على الخروج إلى البحر مرتين أو ثلاث مرات في السنة في فصل الربيع، ثم

---

[1] شرشال: مدينة تقع على الساحل الغربي من مدينة الجزائر.

[2] عطلي محمد أمين، نفسه، ص ص48-49.

[3] جمال الدين سهيل، المرجع نفسه، ص141.

صيفا، وفي فصل الخريف معظم الأحيان وهذا ما جعل المدينة في حركة اقتصادية مستمرة[1].

ولقد تميزت التركيبة البشرية للبحرية الجزائرية بتعدد مشاريعها بوحدها الجهاد في سبيل الله، حيث ضمت جليط من العناصر المحلية، والأعلاج الذين أسلموا، ويضاف إليهم البحارة الذين قدموا من الأندلس والمشرق، الأمر الذي أكسب الأسطول الجزائري قوة متجددة وتقنيات بحرية إضافية، كان القائمون بشؤون البحرية ينتسبون إلى مختلف المستويات الاجتماعية في إيالة الجزائر كما أدى زيادة نشاط البحرية إلى استمرار اتساع نفوذ الطبقة المتوسطة من الحرفيين والتجار وأصحاب الدكاكين، الذين كانوا يستثمرون أموالهم في البحرية إما بالمساعدة في إعادة التجهيز أو لشراء الخشب وما تحتاجه السفينة وكان يشرف على البحرية الجزائرية إداريا عرف بـ "بالي وكيل الحرج". وهو بمثابة وزير البحرية والشؤون الخارجية بحيث كان له مهام شملت ميدانين رئيسيين: الأولى تمثلت في مراقبة النشاط البحري والإشراف على الترسانة البحرية ومختلف الأنشطة الخاصة بالميناء التجاري والعسكري منها، أما الميدان الثاني فيمثل في إشرافه على العلاقات الخارجية للإيالة حيث يتصل في بعض الأحيان بالقناصل ومبعوثي الدول الأوروبية كما يقوم بحل القضايا الخاصة بالعلاقات الدولية للإيالة، ومن أبرز الضباط الذين يأتون بعد وكيل الحرج نجد القبو دان وهو القائد الأعلى للأسطول البحري عند خروجه من الميناء إلى عرض البحر، ثم يأتي بعده ليمان رئيسي أي قائد الميناء والذي يشرف على عمليات تفتيش الميناء ومراقبته فكانت له سفينة خاصة تجوب بها المياه

---

[1] توفيق دحماني، صباح نوري هادي العبيدي، إيالة الجزائر العثمانية بين موارد البحرية والضرائب، مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية، المجلد4، العدد4، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2، ص175.

الإقليمية لمدينة الجزائر ليراقب شواطئها وحركة السفن التي تدخل وتخرج منها بالإضافة إلى معرفة هويتها وطبيعة مهامها[1].

ومن وظائف البحرية الأخرى وظيفة "وارديان باشي" والذي يعتبر من أبرز الموظفين في البحرية الجزائرية حيث كان يشرف على أنشطة الخدم في الميناء والذين كان معظمهم من الأسرى الأوروبيين، وكان يعين لكل رئيس سفينة العدد المناسب من الخدم للعمل على متنها، أما بالنسبة لطاقم السفينة كان يتكون من خمس بحار من بينهم الضباط وهم على النحو التالي:

1- القبطان رايس: وهو قائد السفينة وقد يكون مالكها أحيانا.

2- باشا رايس: وهو نائب القبطان قائد.

3- صوصو رايس: والنائب الثاني لقائد السفينة[2].

4- رايس العسة: وهو مفتش المركب والمشرف على صيانته والعناية به[3].

لقد كان نشاط البحرية الجزائرية منحصرا في عمليات الجهاد البحري، في ظل الصراع الديني بين الهلال والصليب، ولكن وفي نهاية المطاف تطورت البحرية، حيث توطدت وصارت تمثل النشاط الأساسي والمحوري للجزائر حيث شغلت قطاعا هاما من الحياة الاقتصادية وقد نمت حولها فئة اجتماعية ذات نفوذ قوي[4].

---

[1] جميل عائشة، الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1520-1830م، رسالة دكتوراه في التاريخ، التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة حلاني بسيدي بالعباس، 2017-2018، ص ص127-128.

[2] جميل عائشة، المرجع نفسه، ص129.

[3] يحي بوعزيز، الموجز، المرجع السابق، ص172.

[4] زيتوني حمزة إسحاق، تطور مهام البحرية الجزائرية من الجهاد البحري إلى القرصنة، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد9، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة، 2018، ص123.

وبذلك نقول أن البحرية الجزائرية كانت تمثل جانبا مهما خاصة في قـــوة الإيالـــة الجزائرية في العهد العثماني كون أن البحرية الجزائرية كانت تعرف تنظيما محكما مـــن ناحية انضباط رجالها وتنظيمها الإداري[1].

ثالثا: تطور البحرية الجزائرية

تطورت أهداف البحرية الجزائرية غير أن هذا التطـــور لـــم يكـــن بـــين عشـــية وضحاها، بل كان نتيجة تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية، شملت الجزائـــر وكـــل دول حوض البحر الأبيض المتوسط، وعلى هـــذا الأســـاس يمكـــن القـــول أن البحريـــة الجزائرية قد عرفت تطور موسع خلال العهد العثماني.

كانت البحرية الجزائرية غداة تأسيس الإيالة الجزائريـــة ســـنة 1519م موســـومة بطابع جهادي صرف، لأن معظم أراضي شمال إفريقيا كانت تحت السيطرة الإســـبانية، لذلك عمل بيلربايات الجزائر على محو التواجد الإسباني المسيحي في أراضي المسلمين، كما حاولت البحرية الجزائرية بقيادة رياسها المحنكين، الاستيلاء على عـــدد كبيـــر مـــن الجزر المتوسطية والتي كانت محل صراع بين المسلمين والمسيحيين، نظرا لما لها مـــن أهمية إستراتيجية في السيطرة على الملاحة البحرية في البحر المتوسط. وفي هذا يقـــول المؤرخان الجزائريان "ناصر الدين سعيدوني" و"المهدي بوعبدلي": "لقـــد كـــان الجهـــاد البحري في الجزائر، فعل مباشر على التصديات المسيحية التي اتخذت إثر سقوط الأندلس في أواخر القرن 15م، شكل حملات صليبية تباركها الباباوات بروما وتزكيها الحكومات الأوروبية، وتتزعمها إسبانيا الكاثوليكية".

[1] عبد الجليل رحموني، اهتمامات المجلة الإفريقية بتاريخ الجزائر العثمانية (1830-1820م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي لياس، سيدي بلعباس، (2015-2014م)، ص ص87-88.

حيث كانت البحرية الجزائرية، موجهة لضرب البحريات الصليبية الأوروبية من أجل إنقاذ مسلمي الأندلس وجراء الظروف القاسية التي كان يعيشها مسلمو الأندلس وفي ظل القمع والاضطهاد الرهيب التي فرضته عليهم العصب الكنيسي والملكي الهمجي، إذ كانت محنة مسلمي الأندلس والرغبة في تلبية ندائهم لإنقاذ ما يمكن إنقاذ منهم حيث لقد كانت البحرية الجزائرية أهلا لها في تلك الظروف السياسية المتأزمة، حيث سجل التاريخ ما بين 1563م و1571م أعظم الأحداث الجسام في تاريخ التصادم بين الروح الصليبية والمد الإسلامي.

انهزام الأسطول العثماني أمام التحالف الصليبي في معركة ليبانت ونجاة الأسطول الجزائري من التحطيم في هذه المعركة بفضل حنكة رايسها العلج علي وقد أضرمت كل هذه الأحداث من سير الحقد الصليبي ضد الإسلام في المقابل جعلت من الجزائر دار الجهاد الإسلامي التي تعلق عليها آمال المسلمين في الجزء الغربي من البحر الأبيض المتوسط[1].

لقد كان بحارة الجزائر ينشطون بدافع ديني يدفعهم للهجوم على المسيحيين ولذلك فإن النشاط الذي مارسته البحرية الجزائرية خلال القرن 16م، عبارة عن جهاد بحري وامتداد للحروب الصليبية وذلك نظرا لأسبابها الدينية ودوافعها العاطفية وبالتالي لم تكن الفوائد المادية التي جنتها الجزائر من جراء الجهاد البحري هدفا رئيسيا للقرصنة[2].

ولقد تطور الأسطول الجزائري تطور ملحوظ خلال الفترة الممتدة بين 1529م إلى 1579م، كان الأسطول الجزائري حسب الظروف التي كانت تمر آنذاك قد بلغ ما بين

[1] السعيدان محمد، الأسطول البحري ودوره في إيالة الجزائر، خلال القرن 11م/17م، قضايا تاريخية، العدد 7، جامعة عمار تلجي، الأغواط، 2017م، ص ص106-107.

[2] السعيداني محمد، المرجع السابق، ص107.

خمس وربع مجموع الأسطول العثماني، أما النصف الأول من القرن 17م، فقد صار الأسطول العثماني قوة بارزة، ففي هذه الفترة من القرن 17م اتخذت القرصنة طابع المؤسسة الخاص للبحرية من أجل الربح بصورة شديدة الوضوح، وكانت سفن القرصنة إما ملكية لكبار القرصنة والحكام أو الشركات ذات أسهم يتم فيها توزيع الغنائم حسب قواعد[1].

إذ أصبحت القرصنة البحرية تتحكم في النظام المالي ويقوم عليها البناء الاقتصادي للجزائر ولذلك فقد تطورت البحرية الجزائرية عبر فترات متتالية خلال العهد العثماني، وبذلك أضحت من خلال هذا التطور بأن تتحول البحرية من مؤسسة خاصة إلى مؤسسة عامة تسيرها وتوجهها الدولة بمقتضى سياستها الخارجية[2].

رابعا: عوامل قوة البحرية الجزائرية

لقد بلغت البحرية الجزائرية أوج تطورها في النصف الثاني من القرن السادس عشر، والنصف الأول من القرن السابع عشر حيث امتد نفوذ الجزائر البحري والسياسي إلى الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط من ناحية وإلى شواطئ أوروبا الغربية من ناحية أخرى، إذ كان الأسطول الجزائري يجوب أرجاء المحيط الأطلنطي في بريطانيا، واسلاندا إلى جزر الكناري، والآزورس، حيث لعبت البحرية الجزائرية دورا أساسيا طيلة الفترة العثمانية، بحيث كانت تقوم بعمل مزدوج هما: الدفاع عن الجزائر من جهة والدفاع عن باقي البلدان المغاربية من جهة أخرى وكذلك المشاركة في الدفاع على البلاد الإسلامية بالخصوص الدولة العثمانية في شرق البحر المتوسط، إذ كان الأسطول الجزائري دوما في المقدمة ويخوض المعارك، معركة تلو الأخرى، وكان هذا الوضع قد

[1] نفسه، ص108.

[2] زيتوني حمزة إسحاق، المرجع السابق، ص126.

أرعب أوروبا حينها لأنه يهدد مصالحها التجارية، والاقتصادية على سواحل البحر الأبيض المتوسط وذلك نتيجة قوة بحرية برزت في تلك الفترة[1]، وبذلك تعود قوة البحرية الجزائرية في العهد العثماني إلى عدة أسباب نذكر منها:

- الموقع الجغرافي الممتاز وطبيعة سواحلها المفتوحة على أوروبا المتحكمة في الحوض الغربي للبحر المتوسط على امتداد.

- الظروف الدولية البارزة والمتمثلة في التنافس بين الدول الأوروبية وأنجر عن ذلك من صراع وتوترات.

- تجنيد الأوروبيين في البحرية الجزائرية والذي اصطلح عليهم بتسمية الأعلاج.

- الإيمان بحق الدفاع عن دار الإسلام بعد انهيار الأندلس وحلول الإسبان بالسواحل، وقد كان من طليعة من تطوع لركوب البحر لمواجهة سفن النصارى هم أهالي المدن الساحلية وكان على رأسهم جماعة الأندلسيين وممن التحق منهم كذلك من الأعلاج الذين اعتنقوا الإسلام إذ كانوا قبل ذلك يعانون الجور في بلدانهم وذلك جراء النظام الإقطاعي والاستبدادي الملكي السائد آنذاك في البلاد الأوروبية[2].

- مهارة البحارة الجزائريين وكفاءتهم الحربية وقدرتهم القتالية العالية التي مكنتهم من تحقيق انتصارات حاسمة ومن بين هؤلاء نذكر: الإخوة بربروسة عروج وخير الدين، صالح رايس، والعلج علي، درغوت باشا... وغيرهم[3].

---

[1] جمال الدين سهيل، المرجع السابق، ص ص143-144.

[2] جميل عائشة، المرجع السابق، ص131.

[3] نصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص134.

- استخدام البحارة الجزائريين للأساليب الحربية الملائمة مثل الالتجاء الى الغارات المفاجئة كذلك استعمال بنادق البارود سريعة الطلقات والمدافع الخفيفة في هجماتهم إضافة الى امتلاكهم للسفن المتطورة التي تقدر على الإبحار بها من بينها السفن المستديرة.

وان مظاهر قوة البحرية الجزائرية في العهد العثماني كانت تضمن للدولة مداخيل معتبرة كانت تأتي من عدة مصادر مختلفة سواء كانت حمولات السفن من الغنائم البحرية التي يتم اخذها من البحر إضافة الى افتداء الاسرى، والاتاوات التي كانت تدفعها الدول الأوروبية وذلك تحت تدابير اتفاقيات شكلية من اجل حماية سفنها من استلاء القراصنة، ولقد كسبت الجزائر من خلال قوتها مكانة مرموقة في البحر الأبيض المتوسط، مما جعل الدول الاوروبية تخشى مواجهتها اذ الزمها الالتزام للشروط التي كانت الجزائر تطلبها.[1]

خامسا: رياس البحر

لقد أدى استقرار الأتراك في مدينة الجزائر لتحويل نشاطات القرصنة في البحر الأبيض المتوسط إلى مؤسسة، وقد تحكمت طائفة الرياس Taif eReice ابتداء من تواجدها في الجزائر العاصمة بطريقة شديدة الانتظام من حيث التنظيم والتمويل والعمليات الحربية، حيث كان للطائفة كأي مؤسسة بحرية أخرى رتب وطريقة للترقية تتدرج إلى رتبة الكابتن، ويعتمد رجال الطائفة في تمويلهم على الخواص الأفراد وعلى الخزينة العامة معا[2].

كما كانت مهمة سفينة رياس البحر، مثل مهمة سفينة القرصان، عبارة عن القيام بعملية مغامرة، أكثر مما هي مهمة للصالح العام، حيث كان رايس البحر كان يقوم بمهمة

---

[1] جميل عائشة، نفسه،132.

[2] ولم سنبسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع: عبد القادر زيادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص ص74–75.

تعطي طابع الشرعية لنشاطه، كما كان يتصرف في غنائمه بطريقة ينظمها الأمير التابع له[1].

لقد جرت العادة أن يطلق على كل قائد مركب بحري لقب: رايس أو قبطان رايس وينتمون هؤلاء إلى طائفة الرياس الذين كانوا يكونون أهم فرقة عسكرية في الجيش الجزائري خلال عهد الأتراك العثمانيين، ولقد كان من أشر هؤلاء الرياس على امتداد الفترة العثمانية بالجزائر، خاصة على عهد الدايات، عروج وخير الدين وإسحاق وحسن آغا وصالح رايس وابنه محمد رايس وعلى رايس وحميدوش على إلخ[2].

وبعد أن تكونت البحرية الجزائرية عند وصول الأتراك ومن القراصنة الذين التحقوا بخير الدين حيث تعاظم دورهم وتزايد أهميتهم في الإيالة حيث نشاط البحرية أنشئت طائفة الرياس حيث أخذت من مرسى الجزائر قاعدة لها ولقد شكلت هذه الطائفة مع تزايد الغزو البحري المحرك الأساسي للإيالة كما ساهمت في إثراء الإيالة[3].

ولقد تمتعت السفينة الخاصة بالغزو البحري، بمجل إدارة يتكون من الرايس، ويساعده بذلك عدد من الضباط، وآغا خوجة، ولقد ساهمت طائفة رياس البحر في تطور نشاط الغزو البحري بشكل كبير[4].

ولقد كانت طائفة رياس البحر ذات أهمية حيث كانت لها دور في توفير العائدات البحرية خاصة من الغنائم خاصة في عهد القبطان الحاج علي بحيث رفع رواتب البحارة لكل بحار راتب قار هو 4 بجة، إذ استمروا على هذا الراتب إلى غاية أيام حسين باشا[1].

---

[1] جون ولدق، المرجع السابق، ص179.

[2] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص176-177.

[3] عطلي محمد أمين، المرجع السابق، ص82.

[4] كاتكارت حيمس ليباندر، مذكرات كاتكارت أسير الداي، قنصل أمريكا في المغرب، تع: من الإنجليزية للعربية، إسماعيل العربي، د، ج1، الجزائر 1982، ص79.

المبحث الثاني: النشاط البحري وموارده

أولا: عمل النشاط البحري في الجزائر

لقد شكل النشاط البحري، أو كما كان يطلق عليه من قبل الأوروبيين بلصوصية البحر، إذ كان يشكل أبرز النشاطات الاقتصادية للجزائر خلال العهد العثماني أي أثناء القرن 16م و17م لما كان يدره من ثروات غير تجارة المغانم والرقيق كما كان أيضا عمل النشاط البحري من المنظور الديني آنذاك في حوض البحر المتوسط إحدى أوجه الحرب ضد الدول المسيحية العدوة، وفي طليعتها إسبانيا[2]. حيث كان النشاط البحري يكون عمله وخدمة البحر من قبل بحارة كانوا ذوو قوة في البحر آنذاك ومن بين الذين عرفوا بنشاط البحر خلال العهد العثماني نذكر آنذاك صالح رايس الذي اشتهر كثيرا خلال العهد العثماني في الجزائر.

وبهذا كذلك يمكن القول أن نشاط البحرية عرف تطور حيث أصبح ذا قوة بارزة بين الدول خاصة خلال القرن 17م.

لقد أدى كذلك تزايد النشاط البحري لأسطول الجزائر في العهد العثماني في بداية القرن 18م إلى تزايد عدد كبير ومعتبر من سفنه وذلك جراء عدة عوامل خاصة بفضل الغنائم البحرية التي كان الأسطول البحري ومن خلال تزايد النشاط في البحر الأبيض المتوسط[3].

---

[1] أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1168-1246هـ/1754 -1830م، ص ص72-73.

[2] عطلي محمد الأمين، المرجع السابق، ص38.

[3] مبارك شودار، حملة اللورد إكسموث على مدينة الجزائر 1815م وتأثيراتها الإقليمية والدولية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي إلياس، سيدي بلعباس، 2014-2015م، ص39.

ثانيا: أهم موارد العوائد البحرية

1-الغنائم البحرية:

تكاثرت الغنائم البحرية في الفترة الأولى للعهد العثماني، ولقد أخذت في التناقص حتى كادت تتلاشى في القرن الثامن عشر، حيث بعد ذلك عرفت نموا ملحوظا في نهاية العهد العثماني وذلك من أجل تطوير البحرية الجزائرية وزيادة نشاطها في البحر خاصة في فترة اشتغال أوروبا بحروب الثورة الفرنسية وفتوحات نابليون[1]، ولقد شكل النشاط البحري موردا مهما لمداخيل الخزينة للإيالة الجزائرية خلال العهد العثماني[2]. ولقد اعتبر النشاط البحري في تلك الحقبة العمود الفقري للاقتصاد الجزائري والخزينة لأنها شكلت هذه العائدات البحرية من الغنائم مورد مهم لتطوير اقتصاد الإيالة الجزائرية في الفترة العثمانية[3]. ولقد ارتبط تجدد نشاط البحرية الجزائرية بجهود بحارة مشهورين في تلك الفترة وفي مقدمتهم الرايس حميدوا (1790-1815).

وهكذا يمكن أن نتعرف على تطور الغنائم البحرية التي كانت الدولة تأخذ منها الخمس (الينجق) كما يوزع الباقي على أصحاب السفن المساهمين في تطوير وتجهيز الأسطول باستعراض عدد الغنائم حسب السنوات الموضحة على النحو التالي:

*1628 – 1634م: تم الاستيلاء أثناء الحرب ضد فرنسا، على 80 سفينة أسر بها حوالي 1331 شخصا مما جعل قيمة مجمل الغنائم في تلك الحرب ترتفع إلى حوالي 4752000 غنيمة.

---

[1] نصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص139.

[2] وليام شالر، مصدر سابق، ص58.

[3] علي آجقو، شهرزاد شلبي، مؤسسة الخزينة في الجزائر أواخر العهد العثماني ودورها الاقتصادي والعسكري 1798-1830م، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، ع21، جامعة بسكرة، الجزائر، 2016، ص349.

*أما في الفترة الممتدة من عام 1737م إلى عام1779م: لقد استولى البحارة الجزائريون على 376 سفينة، منها 16 سفينة برتغالية أسرها الرايس حميدو عام 1797م حيث أسـر بها 118 أسيرا، وفي سنة 1785م، أسرت بعض السفن الجنوية والبندقية والنابوليتانيـة، قدرت غنائمها بخمسة وسبعين مليون فرنك[1].

ولقد قدرت غنائم أفريل وماي وجوان من عام 1802م بقيمة 1.419.000 دولار أي حوالي 7.600.000 فرنك وذلك حسب الصرف في الجزائر أمـا لمجمـوع القيمـة الإجمالية لغنائم عام 1802م هي 575.153 فرنك، ففي غنائم هذه السـنة توجـد فـي الفرقاطة البرتغالية ذات 44 مدفعا ومن المعروف أن السفينة الحربية وسلاحها لا يدخلان في عمليات بيع الغنائم. وتكون قيمة هذه الفرقاطة التي سجلت في سجل الغنائم البحريـة من الفترة الممتدة من 1766م إلى 1792 ولقد ثمنا وسجلنا هذه المعطيات المدروسة في هذه الفترة والتي يمكن أن نلاحظها في الجدول التالي[2]:

السنة	عدد الغنائم	القيمة (بالفرنكات)	الجنسية
1766	17	113052	إسبانيا –برتغال–جنوة.
1767	18	356703	3 برتغالية–16 إسبانية–1 نابولي
1768	19	165539	6 إسبانية– 1 خبرية–1نابولي.
1769	8	291008	4 نابولي–2 دنمارك–2 إسبانية.
1770	4	86933	1برتغال–1إسبانيا–1نابولي
1771	1	4351	مجهول
1772	1	11122	1 نابولي
1773	2	1992	1 نابولي– 1 جنوة.
1774	4	121080	2 إسبانيا –2 مجهولة.
1775	6	122002	1 نابولي – 1 روسيا – 1 مجهولة.

[1] نصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص139–140.
[2] المنور رموش، المرجع السابق، ص466.

1776	10	104572	أغلبها إسبانية.
1791	6	170449	1 نابولية – 1 نموسية – مجهولة.
1792	9	82943	3 جنوية – مجهولة[1].

ومما نلاحظ على معطيات الجدول هو أننا نلاحظ خاصة السنوات الأربع الأولى لها نتائج نسبية جيدة نوعا ما بين الفترة الممتدة من 1766م الى 1769م إذ كان المتوسط السنوي لها هو 231576 فرنك، أما السنوات الأخرى فكانت متشابهة في النسب التي حظيت بها الغنائم البحرية للإيالة الجزائرية.

أما السنوات أي الفترة الممتدة بين1766 الى1792م فلقد كان مجموع غنائم يعطي متوسطا سنويا قدر بـ 9 غنائم في السنة. كانت قيمتها 160 ألف فرنك أي ما يعادل بصرف الوقت في الجزائر حوالي 30769 قرش بمعدل 5.20 فرنكات للقرش[2].

ولقد كان هناك عدة اختلافات بين المؤرخون في النسبة التي كانت تحصل عليها الدولة من غنائم البحرية إذ منهم من يذكر الثمن ومنهم من يذكر العشر ومنهم من يذكر السبع، مما يذكر أن نسبة أخذت ترتفع مع تقلص حجم الغنائم التي كانت تشهدها تلك الفترة كون أن الخزينة العامة كانت تأخذ الخمس كنصيب لها من بيع هذه الغنائم إذ أن الخزينة في إيالة الجزائر لم تأخذ نصيبها وحقها الكامل[3].

وأما حسب نصر الدين سعيدوني أنه قال إن نسبة الغنائم البحرية من الفترة 1805م–1815م قدرت قيمة الغنائم بـ 8 ملايين فرنك منها 1800 أسير و30 سفينة. أما سنة 1825م بلغ عدد الغنائم البحرية ثمانية سفن، كانت أغلبها هولندية وإسبانية

[1] المنور رموش، المرجع نفسه، ص468.

[2] نفسه، ص.ص،469.468.

[3] صالح عباد، المرجع السابق، ص351.

وإنجليزية، قدرت قيمتها بحوالي 770415.74 فرنك. في حين سنة 1817م-1827م فقدرت قيمة الغنائم للبحر في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني حوالي 700000 فرنك[1].

ولقد عرفت عائدات الغزو البحري تقلصا، حيث شكلت معاهدات السلام التي قد أبرمتها الجزائر ودول أوروبا مشكلا وعائقا كبيرا لها، فالنشاط البحري بالرغم من تقلص غنائمه، إلا أن عائدات الاعتداء الأسري بقيت قائمة ما أبقى على حيوية مداخل هؤلاء الأسرى الذين شكلوا جزءا لا يتجزأ من غنائم البحرية في القرن 17م، وبذلك نقول أن عائدات النشاط البحري التي تشكلت من أهم موارد البحرية للإيالة الجزائرية خلال العهد العثماني[2].

2-عائدات وعدد الأسرى:

لقد تميز التاريخ الحديث خاصة خلال القرن 16 و17، 18 وخاصة خلال انتشار ظاهرة القرصنة-الغزو البحري- في حوض البحر الأبيض المتوسط من الصنفين المسيحي والإسلامي، إذ أصبح الأسر آفة عالمية والأسرى بضاعة للتفاوض والتشاور والاتجار، والاستغلال الإنساني، خاصة في العالم المسيحي الذي في أقل من أربعة قرون أسر واشترى، وباع في ظروف قاسية خمسون مليون من البشر، إلى درجة أنها اعتبرت أكبر جريمة لم يرتكب مثلها ضد الإنسانية، وبدرجة أقل مارس المسلمون الأسر كرد فعل، والمعاملة بالمثل للأوروبيين عامة.

ولقد كانت كثافة النشاط البحري، قد شكلت هذه الفئتان أي الأسرى – التي اعتبرت السعلة أكثر رواجا في الجزائر خلال العهد العثماني حيث أن الجزائر كانت تعج بأعداد

[1] نصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص140.

[2] محمد عطلي أمين، المرجع السابق، ص99.

هائلة وكبيرة من الأسرى خلال قرن 17م، حيث قد بلغ عددهم عشـــرات الآلاف، ولقـــد ارتفع عدد الأسرى نهاية القرن السادس عشر وذلك نتيجـــة النشـــاط المكثـــف للبحريـــة الجزائرية في الفترة العثمانية حيث قدرت بالجزائر ما بين 15 ألف و20 ألف على أكثر تقدير[1].

ولقد قدر في سنة 1578م إذ بلغ عدد الأسرى من الفرنسيين والإيطاليين والإسبان والمالطين قرابة 25 ألف أسير وفي سنة 1635 ارتفع هذا العدد إلى 30 ألف، لكن مـــع بداية القرن الثامن عشر يلاحظ تراجع في عدد الأسرى فمن 10000 ســـنة 1700 إلـــى 2000 سنة 1738، ليرتفع العدد إلى 7000 نسمة سنة 1750م ثم ليتأرجح بين زيـــادة والنقصان حتى سنة 1830م، إذ تناقص التقديرات بين 500 و122 أسير[2].

كما ذكر أحد الأسرى البرتغاليين الذي يدعى ماسكاريناس (1624-1621) أنـــه كان يوجد بالجزائر 8000 أسير مسيحي[3].

نتيجة النشاط البحري المكثف، شكل الأسرى الأوربيون السلعة الأكثر رواجا فـــي الجزائر، فالبضائع البشرية أو ذلك القطيع الأدمي يتم تسوية وتصـــديره نحـــو المراكـــز التجارية الأوروبية لاسيما مالطا التي كانت تعد عاصمة للقرصنة المســـيحية وليفورنـــة، حيث كان تجار جنوة يضمنون أرباحا تقدر بـــ 30% عند الإبحار مع الجزائر[4].

لقد كان يتم بيع وتوزيع الأسرى يوفر القسم الأكبر من مـــداخيل خزينـــة الإيالـــة الجزائرية، فلقد اعتبر المصادر الأوروبية أن هؤلاء الأسرى على أنهم عبيد أرقـــاء فـــي

---

[1] عطلي محمد أمين، المرجع السابق، ص100.

[2] حنفي هلا يلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1429هـ/2008م، ص ص68-69.

[3] عطلي محمد أمين، المرجع نفسه، ص100.

[4] محمد بن سعيدان، التطورات السياسية والاقتصادية لإيالة الجزائر خلال 11م/17م، المرجع السابق، ص142.

كامل أراضي الدولة العثمانية، في حين أن الجزائر اعتبرتهم أسرى مـــن الحـــرب، لأن الأسرى الذين لا يختارهم للعمل كحراس أو خدم أو لا يشتريهم البياعة يصـــبحون ملكـــا للدولة، ويستعملون للخدمة في الحجارة عبر طرق الإيالة الجزائرية وفي مبيعات الدولة، أو في دار الصناعة بالجزائر وورشات بناء السفن لأن الدولة هي التي لهـــا الحـــق فـــي هؤلاء الأسرى[1].

وحسب حنفي هلايلي والأرقام التي بين أيدينا تبين لنا تنوع جنسيات الأسرى بسوق النخاسة في مدينة الجزائر خلال فترات زمنية مختلفة والجدول التالي يبين لنا إحصاء عام للأسرى ما بين سنتي 1799-1800[2].

البلد	عدد الأسرى
جنوة	95
النمسا	41
فرنسا	64
إسبانيا	193
البرتغال	95
سرجينا	4
رومانيا	4
اليونان	378
كورسيكا	25
مالطا	77
بروسيا	72
المجموع	**1047[3].**

[1] وليم سنبر، المرجع السابق، ص131.
[2] حنفي هلايلي، المرجع السابق، ص ص69-70.
[3] نفسه، ص70.

ومن خلال ملاحظتنا للجدول أن عدد الأسرى في الإيالة الجزائرية خـــلال العهـــد العثماني الذين مثلوا عادات البحرية في تلك الفترة كانت ترتب حسب كل دولة من الدول الأوروبية المسيحية.

حيث كانت أغلب الدول الأوروبية تدفع مبالغ مالية ضخمة من أجل افتداء هـــؤلاء وخاصة إسبانيا التي كانت تدفع لوحدها سنويا ما قيمته 60 ألف قرش لافتداء مجموعة من الأسرى بين 200 و300 أسير[1].

ولقد كانت عائدات الأسرى حسب الباحثين الذين تناولوا القضية الجزائريـــة أنهـــا كانت تعتبر المورد الوحيد لبيت المال وأن المتاجرة في غنائم هذه الأخيرة سواء كانـــت بضاعة أو أسرى كانت العمود الفقري للتجارة بالإيالة الجزائرية[2].

حيث كانت أعمال هؤلاء الأسرى تتوزع علـــى الخـــدمات الاجتماعيـــة والمهـــام الاقتصادية، داخل مدينة الجزائر، وعلى أعمال الفلاحة بفحص مدينة الجزائـــر[3]. حيـــث كانت خدمة هؤلاء الأسرى تقوم داخل الإيالة الجزائرية خلال فترة الحكم العثماني.

كما جنيت الخزينة للإيالة الجزائرية من النشاط البحري سواء من الغنائم إضـــافة الأسلحة، كذلك تحظى بـــ 12% من أسعار السفن المحتجزة في الموانئ بالإضـــافة إلـــى مبالغ افتداء الأسرى التي كانت تقوم بأسرهم عندها[4].

---

[1] عقاد سعاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر (1519م–1830م)، دار السلطان –أنموذجا– مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2014م، ص76.

[2] حنفي هلايلي، القرصنة وشروط افتداء الأسرى الإسبان في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع4، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2003م، ص ص245–246.

[3] نصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص138.

[4] علي أجفوا، شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص349.

ولقد كانت الدراسات الجزائرية قد درست نشاط البحرية الجزائرية التـــي أعطـــت أرقام للأسرى حيث كانت هذه الدراسة على النحو الآتي:

- في سنة 1620م كان عدد الأسرى 35000 أسير.
- اما عام 1634م عددهم حوالي 36331 أسير.
- أما في عام 1662م فكان عدد الأسرى 21000 أسير[1].

ومن خلال هذه الإحصائيات نلاحظ أن الجزائر خلال هذه السنوات كانت تحتـــوي على عدد هائل من الأسرى الأوروبيين وذلك من خلال النشاط المكثف للبحرية الجزائرية داخل البحر المتوسط وخارجه خاصة في العهد العثماني حيث أن في السنوات والقـــرون خاصة القرن 17م تراجع نشاط الغزو البحري للجزائر لأنه بذلك أدى إلى ارتفاع ســـعر عائدات وافتداء الأسرى.

3-الإتاوات والهدايا:

هي ما يقدمه القناصلة والمبعوثين الأوربيون للباشا وأعضاء الديوان للإيالة وقـــد وفرت والهدايا وفرا ودخلا معتبر للخزينة الجزائرية، وذلك عن طريق توقيع الاتفاقيـــات المختلفة من أجل الحصول على بعض الامتيازات لأجل ضمان حرية الملاحة في البحـــر الأبيض المتوسط[2].

ولقد كانت الدول الأوروبية تدفع ثلاث أنواع من الإتاوات هي: اللزمة، وهي التزام تعاقدي، مقابل السلم أو عدم تعرض الرياس للسفن التجارية للبلد المعني، أو أيضا مقابـــل

[1] هيبة كنيدة، رضوان شانفو، مساهمة البحرية في اقتصاد إيالة الجزائر خلال قرن 17م، 19م، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، م12، ع02، جامعة حمة للنشر، الوادي، الجزائر، 2021، ص336.

[2] علي أجفو، شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص349.

التزامات تجارية والعوائد وهي معطيات وهدايا تقدم بمناسبة تعيين القناصل أو المناسبات السعيدة أو مناسبات مجيء الوفد إلى الجزائر للتفاوض، ومن الدول التي كانت تقدم اللزمة مقابل السلم كل سنتين هي الولايات المتحدة الأمريكية، نابل، البرتغال، هولندا، السويد، الدنمارك، ولقد كانت تقدر اللزمة في المتوسط بحوالي 128 ألف فرنك[1].

كما أعطت الجزائر لتجار الدول الأوروبية بعض الامتيازات خاصة منها تخفيضات على الرسوم الجمركية، هذا ينفي صفة اللصوصية أو الاعتداء على حرية التجارة العالمية عن البحرية الجزائرية، وبذلك عرفت الجزائر أواخر القرن 18م وبداية قرن19م نوع من الاستقرار وذلك نتيجة للمعاهدات التي أبرمتها مع بعض الدول الأوروبية كإسبانيا والبرتغال والولايات المتحدة الأمريكية ولقد جدد الجزائر قطع أسطولها الذي وصل إلى ثلاثين قطعة[2].

كذلك تكونت العوائد من نوعين من الهدايا هدايا بمناسبة مجيء قنصل والأعياد أو بمناسبة معالجة قضايا هامة[3].

إلا أن هذا المورد تراجع خاصة في العهود الأخيرة وذلك بسبب ضعف وحدات الأسطول الجزائري مما لا يسمح ببسط نفوذها على الساحل للبحر الأبيض المتوسط كما بدأت تفقد قيمتها كالتزامات مالية تساهم بدخل الخزينة بسبب تهرب الدول الأوروبية من هذه الالتزامات[4].

---

[1] صالح عباد، المرجع السابق، ص ص351-352.

[2] عقاد سعاد، المرجع السابق، ص78.

[3] صالح عباد، المرجع السابق، ص353.

[4] علي أجفو، شهرزاد شلبي، المرجع نفسه، ص ص349-350.

ولقد كانت الهدايا توزع على الداي وحاشيته، حيث يحصل عليها هو بنفسه والموظفون والخدم الذين يسهرون على راحته، كما يحصل على توزيع الهدايا بمناسبات الدنوش، ابتداء من عهد بابا علي إذ أصبحت هدية الداي والخزناجي[1]، والآغا وخرجة الخيل وهم كبار الحكومة تتكون من ساعة دقائق مرصعة بالماس وخاتم رفيع القيمة وقفطان مدبع أو مرضع بالذهب وقطعة من الكتان طولها 24 ذراعا كذلك تكونت هدايا الكتاب الأربعة والطباخين من ساعة دقائق، إضافة إلى هذا هدايا القنصلية نجد ضمنها الأسلحة الرفيعة وذخيرتها، المجوهرات، علب الموسيقى والحرير، إضافة إلى الرخام الإيطالي، والمزهريات الجميلة...إلخ[2].

ومما يلاحظ أن الإتاوات كانت تختلف حسب العلاقة التي تربط تلك الدول بالجزائر، كما كان للظروف السائدة في تلك الفترة، تأثير على تحديد مبالغ تلك الإتاوات، وهذا ما يوضحه حسب التسلسل الآتي بعض الدول:

- إسبانيا: كانت تساهم بقيمة 48000 ف، سنة 1807، وبعد توقيعها لهدنة سنة 1785م وانسحابها من وهران ألزمت بدفعه 18000 فرنك.

- توسكانيا: ألزمت قبل سنة 1823م بدفع ما قيمته 205000 دوبل أو 250000 فرنك.

- البرتغال: كانت ملزمة بدفع ما قيمته 20000 ف، عام 1822م.

[1] الخزناجي: هو بمثابة وزير المحاسبة حيث كان مسؤولا عن خزينة الدولة، ولا يمكن أن تفتح الخزينة إلا بحضوره لأنه هو الوحيد الذي يحتفظ بمفاتيح الخزينة العامة، عمار بحوش، المرجع السابق، ص65.

[2] صالح عبادة، المرجع السابق، ص353.

- إنجلترا: تعهدت في سنة 1807م، بدفع 100000 فرنك أو 267500 ف. مقابل تسليمها بعض الامتيازات.

إضافة إلى الإتاوات المشروطة على بعض الدول الأخرى والتي يتوجب دفعها في بعض المناسبات وهي تخص دويلات بريمن وهانوفر وبروسيا بالإضافة إلى دولة البابا[1].

ولذلك فإن هذه الإتاوات والهدايا التي كانت تقدم للإيالة ساعدت على تطوير اقتصاد الجزائر كونها اعتبرت من أهم العوائد البحرية الجزائرية التي كانت مفروضة خلال العهد العثماني.

المبحث الثالث: النشاط البحري وأثره في اقتصاد الجزائر خلال العهد العثماني

أولا: أثر عوائد النشاط البحري على اقتصاد الإيالة

إن نشاط البحرية الجزائرية كان له دورا بارزا في تفعيل الحركة التجارية داخليا وخارجيا، وهذا انعكس على الجانب الاقتصادي للإيالة الجزائرية، وذلك بسبب عدة تفاعلات إذ تطورت بذلك خلالها البحرية الجزائرية حيث تمكنت من زيادة مواردها المختلفة والمتنوعة خلال القرن السابع عشر 17م، ولقد سيطرت أسطولها على البحر الأبيض المتوسط.

ولقد أثرت عوائد النشاط البحري على اقتصاد الجزائر بالإيجاب وذلك من خلال تطور الحياة الاقتصادية للجزائر خلال العهد العثماني سواء كان هذا التأثر داخليا أو خارجيا خاصة في التجارة إذ أن العوامل المختلفة لتطور النشاط البحري[2] في اقتصاد

[1] نصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص140-141.

[2] النشاط البحري: كان يقوم هذا النشاط على مستوى البحر المتوسط للإيالة، وهو مثل دور مهم في زيادة عوائد البحر في تلك الفترة.

الإيالة الذي ساهمت في مداخيل البلاد، وأثرت على اقتصادها إذ أدت إلى تنـــوع عملهـــا وانتعاشها وهو ما سوف نذكره من خلال دراستنا ومن بين هذه التأثيرات نذكر:

أ-التجارة:

التجارة الخارجية:

إن تمتع الجزائر والدور السياسي الذي كانت تلعبه كونها مقر للسلطة الحاكمة، مما جعلها تهيمن نعى العلاقات التجارية الداخلية مع ما بين المدن الجزائريـــة حيـــث كانـــت أسواقها تصب فيها مختلف البضائع والمنتجات المختلفة سواء من المنـــاطق القريبـــة أو الشبكات الثلاث[1].

حيث كانت العلاقات التجارية للجزائر مع مختلف المناطق والدول الأخرى للإيالة حيث كانت قائمة على شبكة طرقات عرفت على نوعية وتصنف إلى ما يلي:

طرق برية، طرق بحرية وكانت هذه الأخيرة طريق مطلة على البحر غذ كانـــت تحمل مختلف المؤن والمنتجات إلى الجزائر من طرف التجار.

حيث كانت التجارة الداخلية في الإيالة الجزائرية منظمة ومدققة إذ كان لها تـــأثير على الاقتصاد من ناحية الموارد التي ساعدت على تطوير المجال الاقتصادي.

التجارة الخارجية:

وهي التجارة مع الدول الأجنبية، حيث كانت معظم مبادلات الجزائر التجارية مع الدول الأوروبية وكان موقعها الممتاز المطل على البحر المتوسط ميزها على غيرها وكذا

[1] نصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص453.

كانت هذه التجارة لها دور مهم في تزويد الدولة بالموارد المختلفة من حيث الصـــادرات والواردات التي كانت تقوم بين الجزائر والدول الأوروبية[1].

حيث كانت تقوم هذه التجارة مع دول أوروبية والجزائر مـــن خـــلال المبـــادلات التجارية المختلفة وقد لعب هذا التبادل التجاري تأثير بارز في عوائد البحرية الجزائريـــة على مستوى البحر التي كانت تتم على مستوى الموانئ الجزائرية على مستوى البحر.

ويمكننا القول أن المبادلات التجارية والغنائم البحرية المتحصل عليها من الأسرى التي جاءت نتيجة الجهاد البحري إضافة إلى موارد هامة في إثراء الخزينة الجزائريـــة، وانتعاش العملة وتنوعها مما جعل الإيالة الجزائرية خلال العهد العثماني تلعب دور مهـــم في البحر إذ برزت مكانة مهمة للدولة الجزائرية.

ثانيا: أثر العوائد في إثراء الخزينة

لقد أخذت البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني على عاتقها حمايـــة المصـــالح الاقتصادية للبلاد وتطويرها، حيث عملت بكل قوتها على تطوير النشاط البحري للجزائر على مستوى البحر المتوسط وكان هذا خلال العهد العثماني[2].

وبالرغم أن موارد البحرية الجزائرية التي جاءت جراء تطور نشاط البحريـــة إذ برزت في تأثيرها على الاقتصاد وفي إثراء الخزينة العامة للدولة الجزائرية فلقد كانـــت موارد الغزو البحري لم تكن ثابتة إذ كانت في تذبذب مستمر عبر السنوات التـــي كانـــت خلال العهد العثماني فلقد كانت مصادر البحرية من مختلف الموارد إذ كانت خزينة الإيالة الجزائرية لم يدخلها إلا جزء قليل من هذه العائدات لأن الأطراف المشاركة فـــي جلـــب

[1] أزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800م–1830م، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011، ص66.
[2] جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1994م، ص41.

الغنائم البحرية تأخذ نصيبها إذ كانت تقسم على مجهزي المركب والرياس والبحـــارة.... وغيرهم[1].

بالرغم أن البحرية الجزائرية ونشاطها القوي في بداية الحكم العثماني لعـــب دور بارز في تنوع الموارد البحرية التي كانت معروفة حينها مثل الغنائم البحرية، الأســـرى، الإتاوات وغيرها من الموارد التي ساهمت في إثراء الخزينة للإيالة حيث أثـــرت عوائـــد النشاط البحري للجزائر خلال العهد العثماني في إثراء الخزينة بشكل إيجابي في البدايـــة خاصة خلال القرن 17م، ولكن مع بداية القرن 18م والنصف من هذا القـــرن نقصـــت الموارد البحرية ولقد كانت نتيجة تراجع القوة العسكرية والبحرية للدولة وذلك نتيجة نقص وانخفاض القائم مما أدى ذلك إلى عدم الاستقرار المالي وذلك نتيجة تناقص غنائم البحـــر مما حولت خزينة الجزائر إلى خزينة صغيرة نوعا ما، وانخفاض مخزونها ممـــا ســـعت الدول إلى إيجاد حلول أخرى من التجارة إذ تحولت بذلك الضرائب التي أصـــبحت ذات أهمية[2].

[1] توفيق دحماني، صباح نوري هادي العبيدي، إيالة الجزائر بين موارد البحرية والضرائب، المرجع السابق، ص132.

[2] توفيق دحماني، صباح نوري هادي العبيدي، المرجع نفسه، ص ص136-137.

الفصل الثاني

النظام الضريبي في الجزائر خلال العهد العثماني

المبحث الأول: السياسة الضريبية وأنواعها

أولا: السياسة الضريبية

كانت السياسة الضريبية مرتبطة بنوعية الأراضي، ولهذا عرفت الأراضي في الجزائر العثمانية عدة أوضاع من حيث الملكية، منها الملكية الخاصة، ملكية الدولة، أو البايلك، ملكية الأوقاف، وملكية العرش[1].

نظرا لعدم وجود عملة موحدة للتعامل داخل إيالة الجزائر خلال العهد العثماني، إذ كانت المعاملات المالية تتم بمختلف أنواع العملات الأجنبية، إضافة إلى ذلك العملة المحلية لذلك يصعب علينا عملية التقدير والإحصاء الرقمي للمبلغ الإجمالي لخزينة الإيالة، وبذلك وجدنا هناك اختلفا بين المصادر التي تناولت هذا الموضوع[2].

إن الظروف الاقتصادية ولاسيما الجانب المالي منها من ضرائب[3]، ورسوم وعوائد، قد تدخلت في تصنيف سكان الأرياف إذ أن قسما منهم نال الامتيازات مقابل العمل لصالح النظام المالي، في حين اضطر البعض منهم بسبب ظروف المعيشة أن يبقى على اتصال دائم بالسلطة الحاكمة، وبذلك نقول أن الحكومة الجزائرية، وما تميزت به من أنظمة مالية، قد ساعدت على الإبقاء على الهياكل الاجتماعية بالأرياف، مستعينة بتعاطف رجال الدين من مرابطين وعلماء وشيوخ ورؤساء محليين مع الحكام، ومعتمدة على ملائمة نظام الملكية الجماعية، أما من حيث الحياة الاقتصادية، فنلاحظ أن النظام المالي كان يتحكم فيها بالإجراءات المالية المتبعة مثل قانون الاحتكار التي كانت تمارسها

---

[1] محمد بن سعيدان، المرجع السابق، ص198.

[2] المرجع نفسه، ص198.

[3] الضرائب: وهي العشور والمونة والغرامة، صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، (1830-1514م)، المرجع السابق، ص346.

الحكومة لتشرف عن طريقه على قطاعات الإنتاج الرئيسية بالبلاد وذلك من أجل الحصول على الأرباح الوفيرة.

ولقد كان نظام الاحتكار تفرضه البلاد نتيجة تناقص المدخولات واحتاجت الدولة إلى مداخيل مالية تحصل عليها من احتكارها لتصدير بعض المواد الأولية[1].

ولقد أوجد العثمانيون في إيالة الجزائر نظاما ضريبيا يتميز بالجمع بين الضرائب الشرعية وضرائب غير شرعية حيث كانوا يأخذونها من رعيتهم التي كانت تفرض على كافة أرجاء سكان أهل سكان الإيالة، إذ وجدوا الضرائب بشكل يتفق مع حاجيات كل منطقة[2].

فالدولة العثمانية في إيالة الجزائر تميزت بفرض هذه السياسة وهي السياسة الضريبية التي كانت قد لجأت إليها الدولة لزيادة مداخيلها وذلك بسبب الوضع الذي كانت تمر به في تلك الفترة في تقلص ونقص وانخفاض الموارد البحرية لعائدات البحر لذلك لجئوا لسياسة جمع الضرائب من قبل السكان، فالسلطة العثمانية في الجزائر كانت قائمة على جمع الضرائب وتحصيلها وكذلك كانت تلجأ في بعض الأحيان إلى استخدام القوة في جمعها وفرضها على أهالي الجزائر لأنها كانت تراعي بذلك إلى الوضع والظروف الاقتصادية التي كانت تمر بها البلاد[3].

ولقد كانت سياسة جمع الضرائب في الإيالة الجزائرية التي فرضتها السلطات العثمانية على الأهالي، إذ كان الخلفاء يأتون في آخر الربيع، ويخرجون معهم الأمحال

---

[1] نصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1830-1792م)، ط3، دار البصائر، باب الزوار، الجزائر، 2012، ص ص214-215.

[2] وقاد محمد، ظاهرة التهرب الضريبي والتمرد ضد السياسة الجبائية في الجزائر أواخر العهد العثماني، (1700م/1830م)، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة برج بوعريريج، م2، ع1، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2021، ص96.

[3] وقاد محمد، المرجع نفسه، ص96.

لاستخلاص الخراج والزكاة والأعشار، وهكذا وضع الأوائل الجباية على المنهج الشرعي ولقد تطورت هذه السياسة عبر تلك الفترة في عملية فرض الضرائب على سكان أهالي الجزائر[1].

وبذلك أصبحت الضرائب منذ أواسط القرن الثامن عشر المصدر الرئيسي لدخل الدولة، حيث تمتعت الإيالة الجزائرية بثراء وغنى كبيرين حيث كانت خزائنها المالية عامرة باستمرار بما يرد عليها من أموال الضرائب التي كانت تجمع في تلك الفترة ولقد تنوعت هذه الضرائب بأشكال مختلفة سوف نقوم بذكرها.

ثانيا: أنواع الضرائب

ولقد تنوعت الضرائب فقد تشكلت عدة أنواع مختلفة حيث عملت السلطة العثمانية على خلق هذه السياسة ألا وهي سياسة الضريبة من أجل زيادة مدخول الخزينة العمومية للدولة وفرض على الأهالي هذه السياسة وبحيث هذه الأخيرة كان لها عدة أنواع مختلفة وفي كيفية جمعها ويمكن أن نذكر في مايلي:

1-الضرائب الشرعية:

أ-العشور:

نعتبر من الضرائب الشرعية المباشرة التي تمس أراضي الملكية الخاصة لمراقبة البايلك الفعلية، باعتبارها تعود لأموال الخزينة، وقد نحدد المحاصيل الزراعية التي تؤخذ كعشور مبدئي على الأراضي الزراعية بعدد الزويجات أو الجاديات المحروثة، بغض النظر عن كمية الحصاد الحقيقية وبذلك فالتقديرات النهائية تكون من اختصاص قائد

[1] احمد شريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، المصدر السابق، ص35.

العشور أو كاتب مخزن الزرع الذي عليه أن يوفر المخازن في المدن والمراكز المؤقتة في البوادي لإيداع كميات العشور العامة. ولقد كانت عائدات العشور التي هي المساحة الشاسعة التي يؤخذ منها كون أنها هذه الأراضي ذات ملكيات خاصة قد خضعت لنظام الجباية أو الضريبي[1].

ب-الزكاة: وهي الضرائب المفروضة على رأس المال أي الأموال المنقولة والمواشي تقتطع سنويا من الموالين ومربي المواشي مثل (الأبقار، الإبل، الضان، الماعز) وتكون ذلك وفق ما تنص عليه الشريعة الإسلامية السمحاء[2]. كما جاء في قوله تعالى: "فَأَقِيمُوا الصَلَاَةَ وآتُو الزَكَاَةَ " (الحج: الأية 78) [3]، ولقد تضمنت الآية فعل الأمر "آتوا" الذي يقتضي بوجوب الزكاة، وعن الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه عن أبي عبد الرحمان عبد الله بن عمر الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت وصوم رمضان"[4].

ج-الخراج:

هي الضرائب التي كانت تفرض على أراضي البايلك التابعة للحكومة للإيالة الجزائرية خلال الحكم العثماني والتي يتم تأجيرها للخماسة، وغيرها من أراضي العرش التي يتم مصادرتها من القبائل العامية والمتمردة ويتم تحصيلها إما عن طريق اقتطاع الأراضي مباشرة أو عن طريق تأجيرها أو ما يعرف بالحكور[5].

---

[1] نصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني، (1890-1792م)، المرجع السابق، ص ص83-84.

[2] وقاد محمد، المرجع السابق، ص96.

[3] الآية 78 من سورة الحج.

[4] حديث رواه الإمام البخاري ومسلم.

[5] وقاد محمد، المرجع السابق، ص97.

د-اللزمة:

وهي تعد ضريبة نقدية وعينية كانت تحصل بصفة منظمة من القبائل الواقعة بجنوب البايلك للشرق وهي تلك الواقعة في المرتفعات الجبلية النائية[1].

و-الغرامة:

وهي ضريبة استثنائية خاصة تدفع إما نقدا أو عينا تفرض على قطعان الماشية والخيول والحمير والنعال وكذلك على المنتجات المحلية، كالصوف والزبدة والعسل والشمع والفحم...، كذلك ضريبة المعونة التي تفرض على الرعية بغرض تموين المحلة، إضافة إلى الخطية التي هي فريضة سكان القبائل وتكون بصفة فردية وذلك عند ارتكاب المخالفات وهي كانت تدفع نقدا[2].

2-الضرائب المستحدثة:

ظهر هذا النوع من الضرائب نتيجة للظروف الاقتصادية الصعبة التي كانت تعيشه الدولة الجزائرية خلال العهد العثماني وجاءت فرض هذه الضرائب بهدف سد عجز الإيالة التي كانت تعانيه في تزويد الخزينة العمومية.

أ-اللزمة:

كما ذكرنا سابقا، هي ضريبة تطبق على كل رجل من رجال القبيلة التي كانت تعيش في المنطقة، وكانوا ملزمين بدفعها مرتين في السنة كذلك اعتبرت ضريبة نقدية وتدفعها القبائل الخاضعة لسلطة الباي[3].

---

[1] فلة القشاعي المولودة موساوي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1990، ص65

[2] وقاد محمد، المرجع السابق، ص97.

[3] نصر الدين سعيدوني، النظام المالي، المرجع السابق، ص91.

أما القبائل الجبلية البعيدة عن نفوذ البايلك فلا تدفعها وإنما كانت تساهم بنسب قليلة وذلك من خلال هذه الضريبة التي كانت تطبق[1].

ب-الغرامة:

وهي تعتبر من الضرائب المستحدثة التي قامت السلطة العثمانية بتطبيقها خلال حكمها في الجزائر حيث قامت بإحلالها مكان العشور وكانت تفرض على سكان المناطق الخارجية عن السلطة العثمانية[2]، كما كانت قيمة الغرامة تحدد حسب عدد الخيام، والبيوت، وتقوم المحلات العسكرية بجبايتها، أو تكتفي بمراقبة السكان الخارجة عن سيطرتهم في المناطق الجبلية أو الحيوية كالأسواق التي يتردد عليها السكان لاستبدال منتجاتهم المحلية بالمواد الغذائية[3]. فالغرامة هي ضريبة نقدية غالبا ما كانت تدفع في بايلك الشرق عينا: الحيوانات من الجمال والخيول إلخ وذلك بسبب نقص النقود لدى الأهالي[4].

ج-الخطية:

وهي تعتبر ضريبة تفرض على سكان القبائل بصورة فردية عند ارتكاب المخالفات أو القيام بعصيان أو ارتكاب جرائم ضد القياد أو الشيوخ... ولقد كانت هذه الضريبة تدفع نقدا[5].

---

[1] محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر، تق، محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص102.

[2] فلة القشاعي المولود: موساوي، المرجع السابق، ص66.

[3] علي آجقو، شهرزاد شلبي، المرجع السابق، ص. ص.346-347.

[4] صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص، 347.

[5] وقاد محمد، المرجع السابق، ص97.

كما كانت مدة دفع هذه الضريبة كل ستة أشهر كما يختلف مقدار قيمتها من بايلك إلى آخر وذلك حسب ما تحدده السلطة المركزية[1].

3-الضرائب الضرفية:

وهي الضرائب الإضافية التي كانت تفرض في المناسبات والمواسم وخلال أوقات معينة مثل:

ضيفة الدنوش: وهي خاصة بشيوخ القبائل، كذلك مهر باشا والتي تقدم في شكل مساهمات تدفعها القبائل الخاصة أثناء تجديد الوسائل والعتاد الحربي الخاص بالبايلك[2].

كذلك توجد ضرائب أخرى ضمن صنف الضرائب الضرفية وهي: ضريبة الصيانة: وهي التي يدفعها سكان القبائل للباي أو الخليفة عندما يخيم بموكبه قريبا من تلك القبائل وذلك أثناء التجولات والتنقلات التي يقوم بها الخليفة[3].

كذلك يضاف إلى هذه الضرائب ضرائب سنوية تكون خلال المناسبات وهي: كضريبة الكبش: وهي تعتبر ضريبة يقدمها شيخ القبيلة أو الخليفة للداي بمناسبة عيد الأضحى أو في مناسبات دينية أخرى معينة، أما ضريبة الفرس أو خيل الرعية فهي تعتبر من المساعدات والمساهمات المقدمة لصالح المحلة (الحامية العسكرية وذلك في شكل دواب لتستخدم في مجال النقل والتنقل وذلك عندما يسجل نقص على مستوى الحامية للإيالة[4].

---

[1] علي أجقو، شهرزاد شلبي، المرجع نفسه، ص347.

[2] فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي، المرجع السابق، ص115.

[3] وقاد محمد،المرجع نفسه ،ص98.

[4] نصر الدين سعيدوني، النظام المالي، المرجع السابق، ص115.

وبذلك اعتبرت هذه الضرائب التي كانت تفرضها السلطة العثمانية على أهالي الجزائر مختلفة ومتنوعة، لأنها كانت تفرضها إذ تطلب الأمر بالقوة وذلك من أجل إعمار الخزينة العمومية للإيالة وسد النقص التي كانت تعاني منه البلاد.

ثالثا: طرق تطبيق جباية الضرائب

تعد جباية الضرائب في الجزائر معقدة بشكل كبير وذلك لتنوع وتعدد الوظائف والاختصاصات وكذا الموظفين، كما أنها تختلف من منطقة إلى أخرى، ولذلك فقد تعددت الطرق والآليات في تطبيق جباية الضرائب أو السياسة الضريبية في الجزائر خلال العهد العثماني والطريق والآليات وبذلك يمكن أن نتساءل عن كيفية ذلك؟

وبعد أن أصبح اعتماد العثمانيين على دواخل البلاد ومواردها منتصف القرن 12هـ/18م، حيث كانت الضرائب[1] المحصلة من السكان تتمثل في ما أمرت به الشريعة الإسلامية، إذ أن التوسع العثماني في البلاد شرقا وغربا وجنوبا، حيث اتبع العثمانيون في مجالهم الضريبي كذلك على نظمهم وعلى ما وجدوه في الجزائر من الدول السابقة لوجودهم، من تقاليد الموحدية و الزيانية، ولقد كانت نشاطات الجباية العثمانية، كانت متباينة بشكل كبير إذ لم تستعمل الأجهزة الإدارية كامل طاقتها إلا في أواخر الوجود العثماني واعتمدت على المناطق التي تتبع الحكم بشكل مباشر.

وبذلك نقول أن أموال الضرائب الداخلة إلى الخزينة، التي كانت في انخفاض وتفسير هذا راجع إلى أن الأموال المستخلصة من مختلف الضرائب لم تكن تصل إلى خزينة الدولة، بل كانت تذهب إلى جيوب الحياة والموظفين، لأن الدولة لم تخصص رواتب ثابتة لبعض موظفيها، مثل: القيادة، وأعوان الدوائر والشيوخ، الذين كانوا

[1] توفيق دحماني، الضرائب في الجزائر (1282-1206هـ/1792-1865م)، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2008، ص212.

يخصمون عشرا من الضرائب والغنائم المختلفة، مما تسبب في فساد النظام الضريبي، حيث أن الضحية الأولى الذي كان يتحمل عبء النظام الضريبي، هو ذلك المواطن البسيط[1].

أما عن كيفية جباية الضرائب، فندرسها على النحو الآتي:

أ-في الأرياف:

لقد ترك النظام الجبائي للبايات، وغيرهم للحرية في تثبيت الضرائب والرسوم على مناطقهم، ومن خلال ما تطرقنا له في بحثنا عن طرق الجباية، حيث كان هناك طريقتان لتغطية الجباية وهي: الاقتطاع عن طريق أعوان وموظفي البايلك المحليين، عن طريق السلطات المحلية في الأوطان والقبائل ولقد كانت هناك عدة طرق لاستخلاص الضرائب منها:

***كيفية اقتطاع العشور:**

كان قائد العشور[2] يخرج ويقوم بجولة في الأوطان، وكل القبائل، يرافقه القائد والشيوخ، وذلك لتقدير عدد السكان والمساحات المزروعة من قبل الدواوير المختلفة وإحصائها، ويكون مسؤولية تقديم العشور وإحصاء فترة جني المحاصيل[3]، كما يتم كذلك إحصاء عدد السكان ليتم تسليم نسخة صحيحة من "التذكرة" أو الجريدة إلى جابي العشور كما كان قائد العشور يخرج من "السراحة" و"الغزارة" إذ يخرجون تحت أمر خوجة الخيل.

---

[1] الضرائب: وهي تلك المراتب التي فرضت على أهالي الجزائر خلال العهد العثماني من العقد الأخير.

[2] العشور: وهي من الضرائب الشرعية المباشرة تخص أراضي الملكية الخاصة التي تخضع لمراقبة البايليك، ينظر: نصر الدين سعيدوني، النظام المالي، المرجع السابق، ص ص84-85.

[3] توفيق دحماني، المرجع نفسه، ص ص213-214.

ب-إجراءات جمع الزكاة:

كذلك اعتبرت الزكاة هي الأخرى من أهم موارد البايلك في الجزائر خلال العهد العثماني، حيث كان كل سنة يتم تحديد الثمن، لكل أنواع المواشي، إذ أنه في حالة عدم دفع المالكين لمواشيهم، يدفعون ذلك نقدا أو بعض البضائع عوضا عن ذلك وكل هذه الإجراءات تتم تحت قيادة الأوطان وبمعية فرسان المخزن وذلك بمساعدة شيوخ القبائل، كما كان دفع الزكاة يتم على كل الدوار بشكل جماعي ومشترك[1].

ب-في المدن:

لقد كانت طرق تحصيل ضرائب ورسوم المدن، فلقد كانت مختلفة عن التي كانت في الريف، حيث كانت تعتمد في جمعها على الحاميات العسكرية، أو ما كان يدعى بالنوبات وهذه الأخيرة كانت مشكلة من الإنكشاريين وتدعم كل عام بالبعض منهم، وهم الذين كان لهم الخطوة في جمع الضرائب من عند سكان المدن، وفي الواقع أن العثمانيين وضعوا قانونا خاصا في جمع الضرائب منذ أن أخضعوا البلاد إلى سلطتهم[2].

2-المحلة:

يقوم نظام المحلة على استخدام فرق الجند الموازين بفرسان المخزن، في استخلاص الضرائب وإقرار الأمن وإرغام السكان على الخضوع للسلطة المركزية المتمثلة في البايليك بالمناطق الجبلية، التي اعتد سكانها عن دفع الضرائب من عشور ولزمة وغرامة وعوائد، وتكون بقيادة الآغا، ولقد وصل عدد أفراد المحلة يزيد عن 400 رجل، وقد يصلون في بعض الأحيان إلى 5000 أو 1000 رجل، حيث كانت تتوجه

[1] توفيق دحماني، نفسه، ص215.

[2] توفيق دحماني، المرجع السابق، ص ص231-228.

المحلة نحو سور الغزلان فتجتاح قبائل د برة التي اعتادت المماطلة في تقديم ما يتوجب عليها من ضرائب[1].

ولقد كانت للمحلة وظائف متعددة وأهداف مختلفة بعضها مادي ملموس وبعضها الآخر ذو صيغة معنوية[2].

حيث أن المحلة كانت وعلى رأسها فرسان المخزن إذ تقتصر مهمتهم في تحديد أماكن القبائل الممتنعة ومراعي العشائر الرافضة لسلطة الباي مثل الأحرار[3].

3-الدنوش:

هو إجراء عرفته الجزائر قبل مجيء العثمانيين إليها، فكان نظاما موظفا وثابتا على البايات، وقادة المناطق، وكان ترتيبا مستعدا، اختصت بالجزائر دون غيرها من الإيالات العثمانية، حيث كان البايات والخلفاء يسهرون على حفظ الأمن، وجباية الضرائب فإن هناك شيء آخر كان عليهما القيام به، وهو عملية تسليم الضرائب البايلك إلى الحكم المركزي بالجزائر، ولقد اعتبرت عملية الدنوش نمطا حقيقيا للمسؤولية الوزارية في الحكومات المعاصرة[4]. ولقد عرفت الدنوش نوعين هما:

---

[1] نصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص ص358-359.

[2] توفيق دحماني، نفسه، ص218.

[3] نصر الدين سعيدوني، نفسه، ص359.

[4] توفيق دحماني، المرجع نفسه، ص231.

أ-الدنوش الكبرى:

الدنوش الكبرى هو مظهر رائع ويعتبر عيدا حقيقيا كان يقدره سكان مدينة الجزائر وينتظرونه[1].

ترتيب الدنوش: كان للأتراك بأرض الجزائر ثلاث بايات، باي وهران وباي قسنطينة، وباي المدية، وهم كانوا مرتبين حسب فتوحات الأتراك الأوائل، فمثلا دنوش باي الغرب حيث حين وقعت الهدنة مع الإسبان جاء وقت الدنوش، فقدم الباي محمد الباي حيث جاء معه بتحف وأموال وهدايا كثيرة من الخيل والعتاق والعبيد والمصوع والأثاث الفاخر[2].

كما كان في العهد الأول لحكم الأتراك بالجزائر نظام خاص لجمع الضرائب، لأن الدولة تأمر ثلاثة أجنحة عسكرية بالنزوح من الجزائر لتتفرق على الولايات الثلاث من أجل قبض الضرائب وهذه الأجنحة هي: الجناح الشرقي. يوجه إلى ولاية قسنطينة.

-الجناح الجنوبي موجه إلى ولاية التيطري

-الجناح الغربي، يوجه إلى وهران[3].

الدنوش المغربي:

كان يجب على البايات أن يرسلوا خليفتهم لتقديم الدنوش، أو الضرائب اللازمة عن مقاطعتهم كل ستة أشهر في شهرين أفريل وسبتمبر، هذا زيادة على كميات أخرى يبعثها كل شهر، كما كان يرافق الخليفة جيش الفرسان، وعندما يصل إلى الجزائر ويتم استقبالهم

---

[1] نفسه، ص ص232-233.

[2] أحمد الشريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف الزهار، المصدر نفسه، ص ص35-36.

[3] محمد بن ميمون الجزائري، المصدر نفسه، ص41.

من قبل الداي وكبار الموظفين وكان يمكث ثلاثة أيام مثل الباي، حيث يبقى ثلاثة أيام مع الباي، ويوم مع الخزناجي[1]، ويوم عند خوجة الخيل، ويوم عند أميرال الميناء، وأخيرا عند الآغا آخر يوم[2].

وكما يتحتم على الخليفة أن يقدم نصف المبلغ مرة في كل ستة أشهر للداي وفي المرتبة الرابعة تأتي ستة نعال مثقلة بالذهب الذي يوزع على الداي وأعضاء الديوان في صورة هدايا تقدر قيمتها بأربعة وعشرين ألف كوين تحت عنوان: أو رعاية إلى منزل الداي [3] كما كان خليفة باي الغرب مثلا، يدفع ضرائب من نوع خاص وهي 25 عبدا وأمة زنجية، ومهما كان نوع الضرائب وطريقة جمعها وكذا قيمتها، فإنها كانت تصب كلها في خزينة البايات، الذين بدورهم يقومون بتسليمها لخزينة الدولة، سواء بما عرف بالدنوش الصغير أو بالدنوش الكبير الذي كان يتولاه البايات مرة كل ثلاث سنوات[4].

ولقد اعتبر تنوع الضرائب وتعدد طرق جبايتها عامل إرهاق للسكان الذين كانوا يرغمون على دفع هذه الضرائب مما دفع البعض من الزعماء النافذين، أمثال رجال الطرق والزوايا إلى الثورة، خاصة في مطلع القرن 13هـ/19م، لأن هؤلاء الرجال كانوا ضد هذه السياسة التي فرضتها السلطة العثمانية على أهالي البلاد فهي حسبهم نوع من التهميش.

---

[1] الخزناجي: هو وزير المالية يتمتع بمكانة مرموقة داخل الدولة فهو يعد الشخصية الثانية المؤهلة لتشغل منصب الداي يشرف على شؤون الخزينة، علي آجقوا، شهرزاد شلبي، المرجع نفسه، ص353.

[2] توفيق دحماني: المرجع السابق، ص239.

[3] جيمس، لندر كاثيكارث، المصدر السابق، ص116.

[4] توفيق دحماني، نفسه، ص ص239-240.

المبحث الثاني: أثر السياسة الضريبية على الحياة الاقتصادية والاجتماعية

لقد كان السكان في الإيالة الجزائرية يدفعون الضرائب لكونها ضرائب شرعية ويجب على كل مسلم دفعها، لكن بعد تطور طرق جباية الضرائب واستحداث طرق جديدة كان رد فعل الأهالي عليها بالرفض لأن السلطة العثمانية أصبحت تفرض عليهم دفع هذه الضرائب التي قامت السلطة باستحداثها، ولهذا من خلال بحثنا في هذه النقطة حول الأثر الذي ترتبت عنه هذه الضرائب المفروضة التي كانت قد فرضت على أهالي الجزائر من مختلف النواحي للحياة اليومية وبذلك فقد كان لسياسة الضرائب أثر على الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

أولا: أثر السياسة الضريبية على الحياة الاقتصادية

إن الأصل في فرض هذه الضرائب هو أن تسد الحاجيات الضرورية للحكم بغية أداء وظيفته، كما تسمح للمواطنين على ممارسة أعمالهم ونشاطاتهم بكل أريحية ولكن مع أن اختل هذا الوضع وكان له عواقب وخيمة على الحياة الاقتصادية في البلاد. كما كان تأثير الضرائب المطلق على الجزائر تأثير كبير على النشاطات الاقتصادية كون أن كل النشاطات كانت خاضعة له[1].

1-على الزراعة:

لقد أثرت السياسة الضريبية على النشاط الاقتصادي عامة والقطاع الفلاحي خاصة، وذلك لاشتمالها لعدة مظالم لأن الفلاحة كانت تزدهر لولا تطبيق السلطة لهذه السياسة الضريبية، التي أدت بفرار الفلاحين من الفلاحة، ويفضلون تربية المواشي حيث قامت العديد من القبائل بترك أراضيها والفرار إلى الصحراء وإتباع أسلوب الترحال[2].

---

[1] توفيق دحماني، المرجع نفسه، ص387.

[2] المرجع نفسه، ص388.

ولقد انخفضت مداخيل البلاد نتيجة قيام الدولة برفع قيمة الضرائب على القطاع الفلاحي، اعتقادا منها أن هذا الإجراء يعوض لها ما فقدته من موارد، إذ أصبح الفلاحون يدفعون أضعاف المبالغ مما جعلهم يتخلون عن النشاط الزراعي، ليلجئوا إلى الصحاري والجبال، فارين من حياة الضرائب وبذلك عدم قدرة الإثراء الوصول إليهم هم وأعوانهم أو إلى أطراف الصحراء مما ستؤدي هذه الحالة على القضاء على هذه المؤسسة[1].

حيث أن الأراضي الخصبة كانت في أيدي الأقلية الحاكمة ومن يتبعها، أما سواد الناس، فكانوا يقيمون في الأراضي الجبلية والصحراوية الفقيرة علما بذلك أن القطاع الزراعي، يعد من القطاعات التي تتطلب أيدي عاملة تخدمها وتعمل على تطويرها من كل الجوانب[2].

ولقد أثرت السياسة الضريبية على الحياة الاقتصادية التي كانت تفرضها السلطة العثمانية على السكان وذلك بسبب نقص في الموارد الاقتصادية، وبفعل هذه السياسة جعل الأهالي على عدم تقبل هذه السياسة التي أثرت على كل الحياة الاقتصادية ومجالاتها إذ نتج من خلال هذه السياسة حروب قبلية وثورات قامت ضد الحكم العثماني بسبب تهميشها للسكان والتسبب لهم في الاضطرار إلى ترك أراضيهم الزراعية بفعل فرض الضرائب عليهم[3].

---

[1] وليم شالر، مذكرات وليم شالر، المصدر السابق، ص59.

[2] توفيق دحماني، نفسه، ص389.

[3] أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982م، ص153.

2-على الصناعة:

إن النشاط الصناعي تراجع وتناقص كما وكيفا وذلك لعدة أسباب تمثلت بالخصوص في زيادة مطالب الخزينة من رسوم وضرائب، التي كانت تفرض على الحرف والصناع، لأن كل نقابة كانت ملزمة بدفع مبالغ مالية معتبرة، كما كانت تفرض في بعض الأحيان تزويد البايلك بالمواد الحرفية والمصنعة دون مقابل[1].

كذلك أن هذا النظام الضريبي الذي فرضته السلطة، حال دون تطور العمران ودون ازدهار الفنون والصناعات الحرفية المختلفة ولقد كانت هذه السياسة زادت في تدهور الصناعة مما أدى إلى حروب داخلية ونظرا لهذه الحروب قد أدت بالسكان إلى الهجرة إلى مناطق أخرى ريفية أو إلى المدن للاستقرار فيها خاصة في منطقة جرجرة إذ كانت السلطات تمنحهم رخصا خاصة للخروج من منطقتهم إلى مناطق أخرى ولكن إذا أحدثوا اضطرابات فإنها تسحب منهم هذه الرخص كعقاب لهم، ولذلك فإن السياسة الضريبية التي كانت تفرضها السلطة العثمانية والتي أدت بتدهور الصناعات بمختلف أنواعها للإيالة الجزائرية[2].

3-التجارة:

كذلك لقد كان النظام الضريبي يتحكم في الحياة الاقتصادية وذلك بالإجراءات المالية المتبعة في المعاملات التجارية، وهذا ما يتضح في نظام الاحتكار الذي كان يمارسه البايلك لإشراف على قطاعات الإنتاج الرئيسية لأن نظام الاحتكار الذي اعتمدته

[1] توفيق دحماني، نفسه، ص394.

[2] أبو القاسم سعد الله، مصدر سابق، ص154.

في جميع المرافق وحظرها تصدير المنتجات المحلية إلى الخارج قد أدى إلى خراب التجارة الجزائرية وقضى على الزراعة في البلد قضاء قاسيا[1].

ثانيا: أثر السياسة الضريبية على الحياة الاجتماعية وردود الأفعال

1-أثرها على الحياة الاجتماعية:

لقد كانت السياسة الضريبية لها أثر كبير على الحياة الاجتماعية وعلى علاقتها بين السكان والسلطة الحاكمة في الجزائر، إذ أن العلاقة بين الطرفين تدهورت بسبب إجراءات فرض الضرائب على السكان كون أن السلطة العثمانية وسياستها المجحفة ضد أهالي وسكان الجزائر مما جعل وجود تنافر بينهم، كما أن السياسة الضريبية، قد أثرت على النظام والوضع الديمغرافي للسكان، حيث بدا انخفاض عدد السكان وكذلك استبداد العثمانيين التي كانت تجبرهم على دفع الضرائب لأنها كانت تشن حملات على السكان من أجل جباية الضرائب ودفعها للسلطة العثمانية الحاكمة حيث اعتبرت الضرائب من أهم الأسباب التي أدت إلى نشوب ثورات ضد البايلك والسلطة الحاكمة التي راح ضحية هذه الثورات الكثير من الناس من مختلف الفئات[2].

كذلك كثرت الآفات والمجاعات والأوبئة التي فتكت بالسكان وقللت من عددهم، لأن الجزائر لم تعرف نموا ديمغرافيا أو عمرانيا في أواخر القرن 12هـ/18م وإنما الذي حدث كان العكس وذلك كان نتيجة الآفات والأوبئة التي عرفتها الجزائر في تلك الفترة[3].

---

[1] وليم شالر، المصدر نفسه، ص101.

[2] توفيق دحماني، المرجع نفسه، ص398.

[3] نفسه، ص399.

وبذلك نقول أن السياسة الضريبية التي فرضتها السلطة العثمانية كانت السبب في تدهور الحياة الاجتماعية لدى السكان ومما جعل أهل الجزائر إلى تمرد بعض من رجالها على هذه السياسة.

2-ردود الأفعال

لقد جعل تعدد أصناف الضرائب وتنوعها سواء كانت شرعية أم غير شرعية، مما ثقل كاهل أعبائها على السكان مما جعلهم يتحايلون في دفعها ويتهربون كليا من دفعها[1]، لم يتوقف رد فعل السكان على السياسة الضريبية الثقيلة عند التحايل في الدفع والتهرب منه، كون أن السلطة كانت بالمرصاد ضد هذا التحايل وسرعان ما وضعت له حد إذ أن هذا الإجراء زاد الأمور تعقيدا أكثر فقد بدأت الروابط بين الحكام والرعية تتلاشى وفقدت الثقة بينهم إذ بدأ الناس يشتكون من ظلم الحكام وتسلطهم فلم تبقى الأمور على ذلك الوضع إذ تحول من رفض إلى تمرد مما جعل السكان الذين لم يبقى أمامهم سوى العصيان والدخول في مواجهة مع السلطة الحاكمة[2].

مما جعل العلاقة بين السكان والسلطة الحاكمة تتدهور أكثر من ذي قبل، حيث قام السكان من خلال رفضهم لهذه السياسة بسلسلة من التمردات، وبذلك رفعت بعض القبائل المتضررة من التعصف من سياسة الضرائب العداء أكثر ضد السلطة المحلية من قبل مجموعة من حركات التمرد والعصيان إذ رفضت دفع الضرائب العينية التي أثقلت كاهل السكان في الجزائر[3].

---

[1] توفيق دحماني، المرجع نفسه، ص165.

[2] وقاد محمد، المرجع السابق، ص100.

[3] نفسه، ص 100-101.

ونظرا للسياسة الضريبية التي قامت السلطات العثمانية بفرضها على السكان التي أفرزت أزمة اقتصادية واجتماعية التي عصفت بالجزائر أوجز العهد العثماني في البلاد مما انعكس بالسلب إذ حول ضعف السكان إلى قوة استخدمتها في الرد على السلطة والتمرد ضدها وذلك من خلال ظهور عدة ثورات التي كانت على شكل رد فعل على هذه السياسة.

ومن الثورات التي قامت كرد فعل على السياسة الضريبية نذكر:

أ-ثورة ابن الأحرش:

تنسب هذه الثورة إلى محمد بن عبد الله الشريف الملقب بالبودالي، كان متزعم هذه الانتفاضة في منطقة الشمال القسنطيني في عهد الداي مصطفى باشا (1798-1805) الذي كلف عثمان باي قسنطينة من أجل القضاء على ابن الأحرش وزمرته، إذ تمكن من سحق جند عثمان باي وقتله في معركة وادي الزهور سنة 1804، إذ بعد ذلك تمكن إسماعيل باي من القضاء على ثورة ابن الأحرش وحركته التي دامت أربع سنوات[1].

ب-ثورة درقاوة (انتفاضة):

قادة هذه الانتفاضة أتباع الشيخ مولاي العربي الدرقاوي صاحب الطريقة الدرقاوية التي شملت الجهتين الشرقية والغربية للإيالة[2].

[1] حنفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع نفسه، ص.23.

[2] وقاد محمد، المرجع نفسه، ص.104.

ج-انتفاضة التيجانيين:

هم أتباع الطريقة التيجانية نسبة إلى مؤسسها الشيخ أحمد التيجاني ويعود العداء بين الطريقة التيجانية والسلطة العثمانية إلى سنة 1798م، وهو تاريخ نفي مؤسسها إلى المغرب الأقصى من طرف السلطة العثمانية، إذ تجدر العداء بسبب أفراد العثمانيين، في تحميل الضرائب والحملات التأديبية التي شنها العثمانيون على عين ماضي، حيث قادة هذه الانتفاضة ابن مؤسس الطريقة محمد الكبير التيجاني، الذي كان يود الاستيلاء على وهران، لكن باي وهران استطاع إخماد هذه الثورة[1].

د-التمردات والانتفاضات الأخرى:

هناك تمردات أخرى قادها سكان الأرياف الجزائرية، السياسة الضريبية التي فرضتها السلطة العثمانية، والتي يمكنها الجدول الآتي موزعة حسب مناطق الاندلاع:

التمرد أو العصيان	الإطار الزماني	الإطار المكاني
انتفاضة بن قانة وبوعكاز وبن جلاب	1788م	الصحراء الشرقية
تمرد الحناشة.	1803-1805م	الهضاب العليا
تمرد أولاد عبد النور.	1814-1818م	الهضاب العليا
تمرد مجانة	1813م	الهضاب العليا
تمرد الأوراس نمامشة.	///	الأوراس
تمرد الواورة	///	نواحي الزيبان
تمرد النمامشة والحراكتة	1803-1817-1822	الأوراس[2].

ومن خلال الجدول نقول أن السياسة الضريبية التي فرضتها السلطة العثمانية جعلت السكان من الأهالي وغيرهم على التمرد والعصيان ضدها، وذلك نتيجة سياسة التهميش التي كانت تقوم بها السلطة الحاكمة ضد الأهالي بفعل فرض الضرائب عليها التي كانت تفرضها بقوة.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص468.

[2] وقاد محمد، المرجع نفسه، ص106.

خاتمة

خاتمة

وفي الأخير من خلال دراسة لموضوعنا هذا حول إيالة الجزائر بين موارد البحرية والضرائب خلال العهد العثماني خلال الفترة الممتدة بين 1519-1830م إذ استنتجنا من خلال ذلك عدة نتائج حول الموضوع منها:

*أن الجزائر كانت تعيش فترة صراع حول الحكم خاصة خلال العهد الزياني مما أدى إلى تكالب الوجود الاستعماري الأوروبي، وكذلك الحقد الدفين ضد الدين الإسلامي من أهم دافع الإسبان لاستعمار السواحل الإفريقية خاصة الجزائر في تلك الفترة.

أن ظهور الإخوة بربروس أدى الى استنجاد أهالي الجزائر من أجل تحريرهم من الوجود الإسباني الذي كان يسيطر عليهم، فلبى الإخوة النداء وعملوا على تحرير السواحل الجزائرية ولكن بعد مقتل عروج أصبح خير الدين بمفرده فأخبر الأهالي بضرورة إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية لكي تصبح تابعة لها، فقبل الأهالي هذه الفكرة، وأرسل خير الدين رسالة إلى السلطان وهو بدوره قبل طلب الحاق الجزائر للباب العالي فأصبحت منذ ذلك الحين إيالة عثمانية.

*بعد أن أصبحت الجزائر إيالة عثمانية زادت قوتها ونفوذها خاصة في البحر الأبيض المتوسط، وبروزها في البحر وتطور أسطولها بفضل جهود خير الدين الذي أصبح حاكم على الإيالة.

*نستنتج كذلك أن الجزائر في فترة الحكم العثماني برزت كقوة بحرية مما ساعدها على بسط نفوذها في البحر وسيطرتها عليه وتطور نشاطها البحري من خلال عوائد البحر التي كانت تستخلصها منه في الحوض البحري.

*إن تطور نشاط البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني خاصة خلال قرن 17م مما زاد في وفرة مواردها البحرية التي كانت متنوعة من الغنائم البحرية والأسرى التي كانت تقوم بأسرهم وكذلك الهدايا والإتاوات التي كانت تقدمها لها الدول الأوروبية في تلك الحقبة.

* تطور موارد البحرية للإيالة الجزائرية في تلك الفترة لكن خلال الفترة الأخيرة عن العهد العثماني في الجزائر تراجعت هذه الموارد البحرية تراجعا ملحوظا وانخفاض عائدات البحر مما كانت تزود الخزينة من خلال هذه الموارد مما نتج عن هذا الانخفاض لجوء الحكام إلى إيجاد حل وهو فرض الضرائب لتلبية حاجيات الدولة والخزينة مما فرضت عليهم هذه السياسة لكن هذه السياسة لم تكن ترضي الأهالي كثيرا كون الحكام كانت تفرض عليهم هذه السياسة مما أورد ردود فعل وتمرد الأهالي وعدم دفع هذه الضريبة والتهرب منها.

* أن الموارد البحرية لإيالة الجزائرية كانت في البداية الأمر متطورة لكن بعد ذلك أدى إلى انخفاض عائداتها لأسباب يمكن ذكرها: تراجع قوة البحرية للإيالة ونشاطها في البحر الابيض المتوسط بالمقابل زادت قوة الدول الاوروبية خاصة في منتصف القرن السادس عشر ميلادي، إضافة الى تناقص نشاط الغزو البحري لذلك عرفت الجزائر ضعف في مؤسستها البحرية في تلك الفترة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

سورة الحج.

الكتب

1. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1500-1830، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

2. أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982م.

3. أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792م، وثائق ودراسات، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، قسنطينة الجزائر، 1984.

4. أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1168-1246هـ/1754 -1830م.

5. أزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800م-1830م، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011.

6. بسام العسلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر، (1470-1547م)، ط1، دار النفائس، الجزائر، 1980م.

7. جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1994م.

8. جون وولف، الجزائر وأوروبا، 1500-1830م، تر. تع: أبو القاسم سعد الله، دار الرائد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

9. حضرة عزتلو يوسف بك آصاف، تاريخ سلاطين بن عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تق: محمد زينهم محمد عزب، ط1، مكتبة مديولي، القاهرة، 1415هـ-1995م.

10. حنفي هلا يلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1429هـ/2008م.

11. شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية للطبع والنشر، 1977م، القاهرة.

12. صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر- تونس - المغرب الأقصى، ط2، مكتبة الأنجلو مصرية، 1993.

13. صلاح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، بدون ط، بدون ج، دار هومة، الجزائر، 2012.

14. عائشة غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، 2007.

15. عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960م.

16. عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1409هـ-1989م.

17. عمار بحوث، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997.

18. كاتكارت حيمس لياندر، مذكرات كاتكارت أسير الداي، قنصل أمريكا في المغرب، تع: من الإنجليزية للعربية، إسماعيل العربي، د، ج1، الجزائر 1982.

19. كورين شوفاليه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة الجزائر 510هـ-1541م، تر: جمال حمدانة، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.

20. مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.

21. محمد بن محمد بن عبد الرحمان الجيلاني بن رقية التلمساني، الزهرة الناثرة فيما جرى في الجزائر حين أعارت عليها جنود الكفرة، تع: خير الدين سعدي الجزائري، ط1، أوراق ثقافية، 2017.

22. محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر، تق، محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.

23. محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث (من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي)، 1518-1830م، ط1، مكتبة دار الشرق، بيروت، (1979).

24. محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512-1543) تص: ناصر الدين سعيدوني، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

25. مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2010.

26. مراامول كربخال، إفريقيا، ج2، تر: عمد حجي، عمد زنيبر، عم الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنبلون، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1988-1989م.

27. مصطفى شاكر، الأندلس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1990.

28. المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني -القرصنة الأساطير والواقع، ج2، دار القصبة للنشر، بدون سنة.

29. نصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830م)، ط3، دار البصائر، باب الزوار، الجزائر، 2012.

30. نصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.

31. نصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2008.

32. نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، بدون ط، بدون ج، دار الخمارة، بئر التوتة، الجزائر، 2006.

33. ولم سنبسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع: عبد القادر زيادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.

34. وليام شارل، مذكرات وليام شارل قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تع وتع، وتق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

35. يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ط2، ج2، الجزائر الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

36. يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

37. يحي جلال، تاريخ إفريقية الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999.

38. المذكرات والاطروحات

39. توفيق دحماني، الضرائب في الجزائر (1282-1206هـ/1792-1865م)، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2008.

40. جميل عائشة، الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1520-1830م، رسالة دكتوراه في التاريخ، التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة حلاني بسيدي بالعباس، 2017-2018.

41. خلوفي بغداد، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ألقيت على طلبة السنة الثانية ليسانس تاريخ عام، سنة 2016، المركز الجامعي نور البشير، البيض، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية.

42. عبد الجليل رحموني، اهتمامات المجلة الإفريقية بتاريخ الجزائر العثمانية (1830-1820م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي لياس، سيدي بلعباس، (2015-2014م).

43. عبد القادر فكاير، الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية 910-1206 و/1505-1792م، دراسة تناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر.

44. عطلي محمد الأمين، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية، رسالة ماجستير، تاريخ الجزائر الحديث، المركز الجامعي بغرداية، 2012.

45. عقاد سعاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر (1519م-1830م)، دار السلطان -أنموذجا- مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2014م.

46. فلة القشاعي المولودة موساوي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1990.

47. مبارك شودار، حملة اللورد إكسموث على مدينة الجزائر 1815م وتأثيراتها الإقليمية والدولية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي إلياس، سيدي بلعباس، 2014-2015م.

48. هاشمي بن براهيم، قبائل وهران والاحتلال الاسباني قراءة في مواقف التحالف والولاء، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، 2020-2021م.

49. المجلات العلمية

50. أسماء ابلالي، التحرشات الاسبانية على السواحل خلال القرن 10هـ/16م، مجلة روافد البحوث والدراسات، العدد الثاني، 2017، جامعة أدرار.

51. إلهام يوسف، دوافع الاحتلال الاسباني للمغرب الأوسط "الجزائر" ما بين "1505-1518م"، مجلة جامعة نشرين للبحوث والدراسات العلمية، 2018، المجلد 4، ع1، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، اللانقية، سورية.

52. بلبروات بن عتوا التحرير النهائي لوهران والمرسى الكبير عام 1706م/1798م، م عصور، ع4، 5، 2003م.

53. بلقاسم صديقي، بدايات الوجود العثماني بالجزائر، 1505-1519م، مجلة مشكلات الخمارة، بدس، بدوم، 2020، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 2، ببوزريعة، الجزائر.

54. توفيق دحماني، صباح نوري هادي العبيدي، إيالة الجزائر العثمانية بين موارد البحرية والضرائب، مجلة الملوبة للدراسات الأثرية والتاريخية، المجلد4، العدد4، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2.

55. جمال الدين سهيل، ملامح من شخصية الجزائر خلال القرن 11هـ/17م، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 13، 2011، قسم التاريخ المركز الجامعي غرداية، غرداية، الجزائر.

56. حنفي هلايلي، القرصنة وشروط افتداء الأسرى الإسبان في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع4، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2003م.

57. خديجة دوبالي، الغزو الاسباني على السواحل الجزائرية (1505-1511م)، مجلة القرطاس، ع6، 2017.

58. زغار محمد مختار، صالح رايس بطل الوحدة والجهاد 1552-1556م، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، م2، ع4، 2020م.

59. زيتوني حمزة إسحاق، تطور مهام البحرية الجزائرية من الجهاد البحري إلى القرصنة، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد9، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة، 2018.

60. السعيدان محمد، الأسطول البحري ودوره في إيالة الجزائر، خلال القرن 11م/17م، قضايا تاريخية، العدد 7، جامعة عمار تلجي، الأغواط، 2017م.

61. علي آجقو، شهرزاد شلبي، مؤسسة الخزينة في الجزائر أواخر العهد العثماني ودورها الاقتصادي والعسكري 1798–1830م، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، ع21، جامعة بسكرة، الجزائر، 2016.

62. هيبة كنيدة، رضوان شانفو، مساهمة البحرية في اقتصاد إيالة الجزائر خلال قرن 17م، 19م، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، م12، ع02، جامعة حمة للنشر، الوادي، الجزائر، 2021.

63. وقاد محمد، ظاهرة التهرب الضريبي والتمرد ضد السياسة الجبائية في الجزائر أواخر العهد العثماني، (1700م/1830م)، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة برج بوعريريج، م2، ع1، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2021.

الملاحق

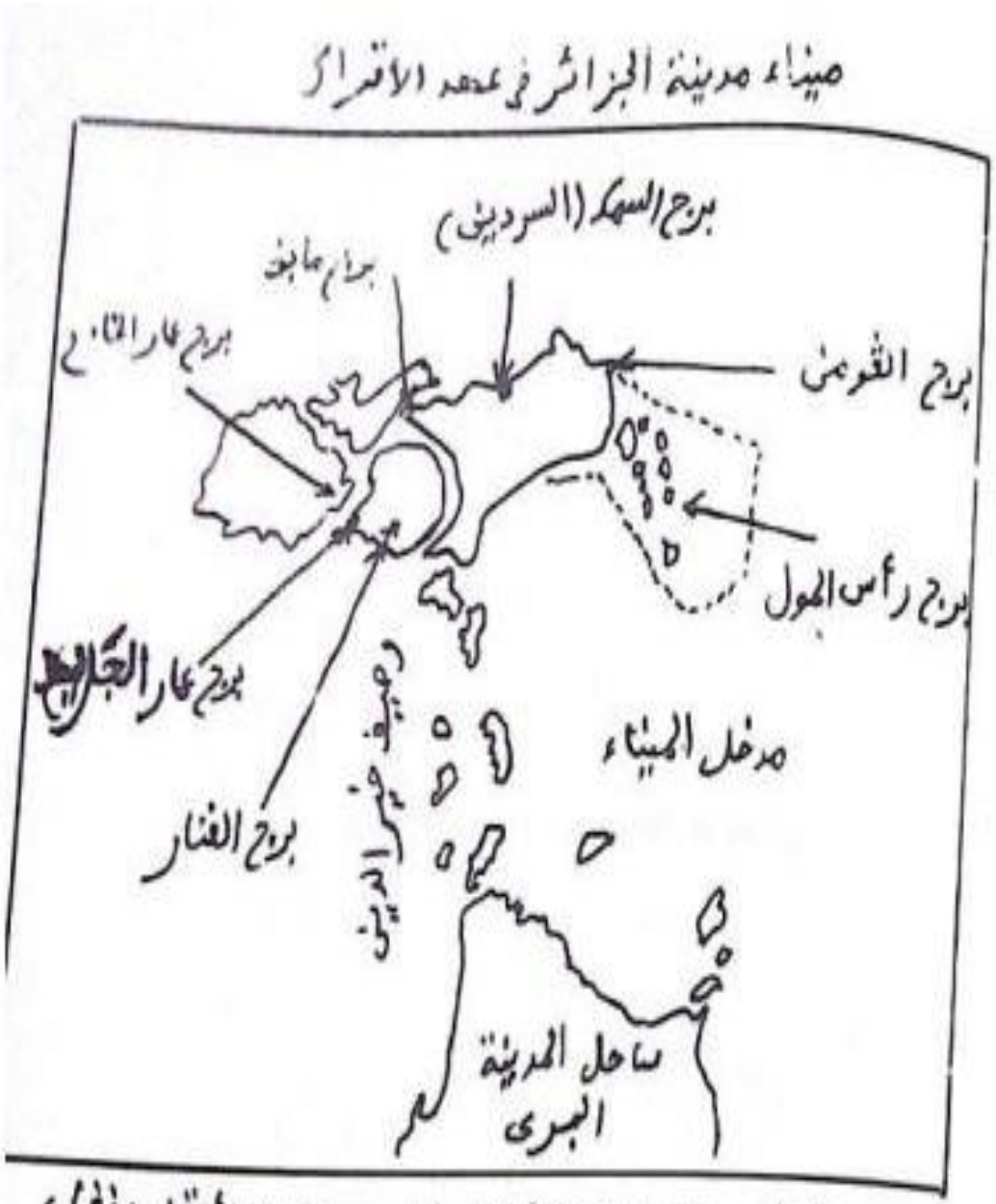

مجموعة الجزر الصغيرة التي كانت أمام مدينة الجزائر قبل إنشاء ميناءها البحري الحديث

المحيط الأطلسي
امارات مغولية بروسية
بحر قزوين
فارس
العراق
الخليج العربي
البحر الأحمر
الجزائر في القرن السادس عشر
بين القرنين الخليجيين

صورة لسفينة إبريقية

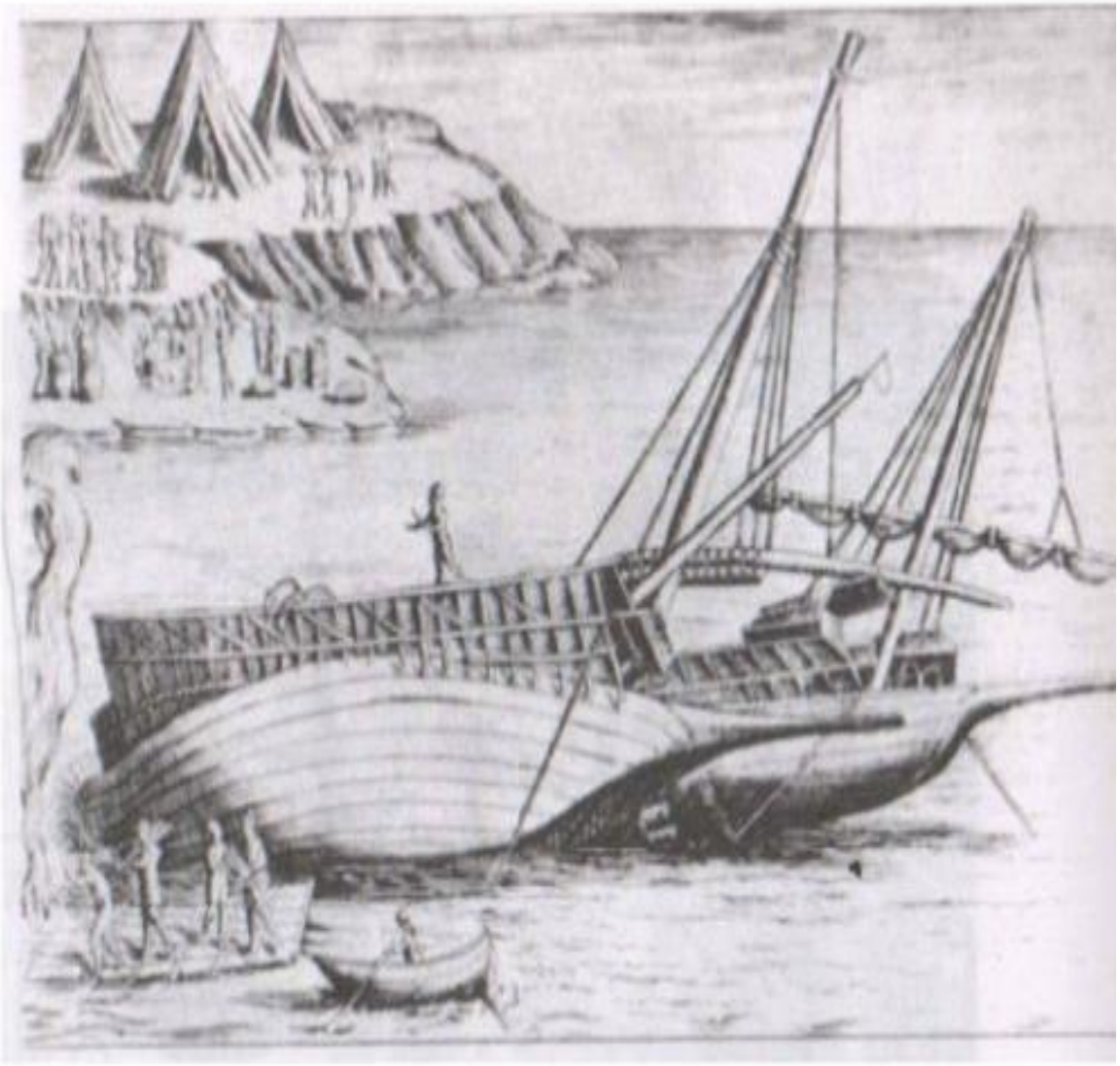

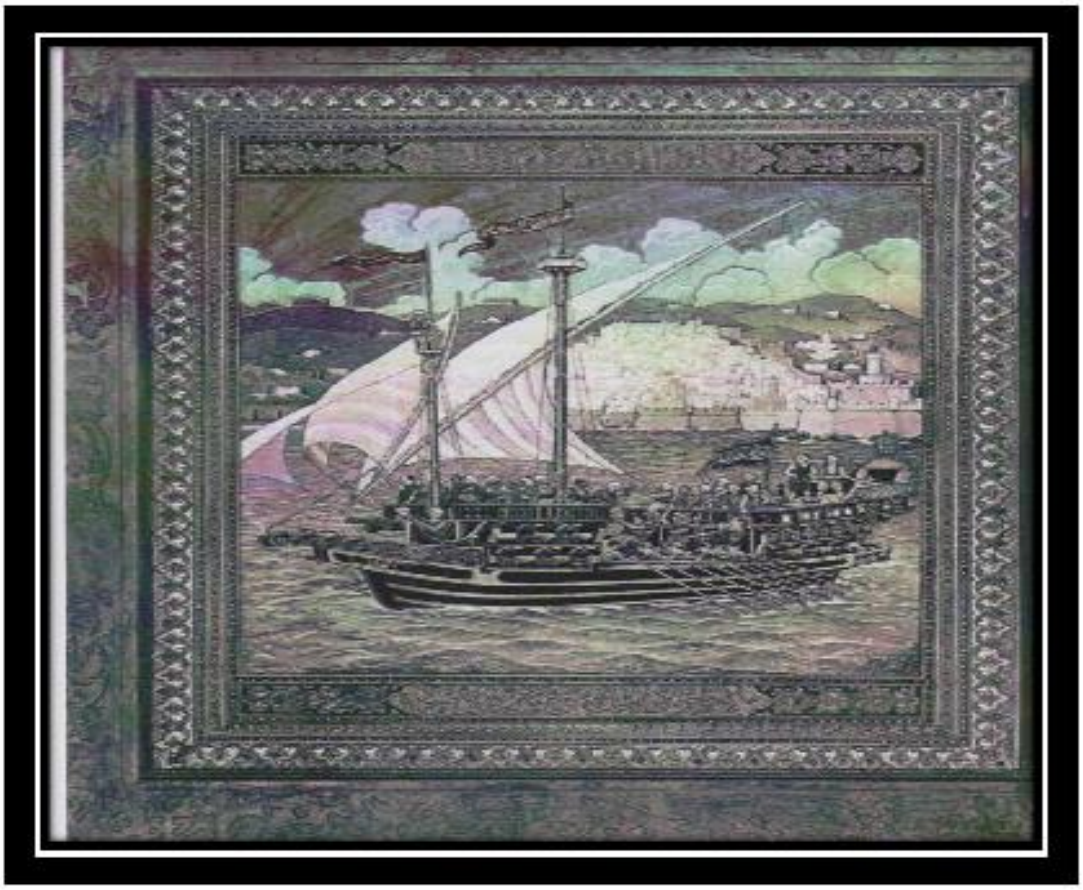

الفلبون
الفلبون
فرقاطة
فرقاطة

القادس
القادس
القرقور

قادرغة عثمانية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2022

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضى ادناه :

السيد(ة): ضيف رانية

الصفة(طالب, استاذ باحث, باحث دائم): .....

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 119970675051710005

الصادرة بتاريخ : 2017/01/18 عن دائرة : .....

المسجل بكلية: العلوم الانسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث تحت رقم التسجيل: 171735090159

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج, مذكرة ماستر' مذكرة ماجستير' اطروحة دكتوراه) .

عنوانها: إيالة الجزائر بين مواردها البحرية

والضرائب 1519-1830م

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 23 جوان 2022

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People'sDemocraticRepublic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع:

إيالة الجزائر بين موارد الجبهة والضرائب 1519-1830م

إعداد الطلبة:

1- ضيف رانية رقم التسجيل: 17173509015

2- رقم التسجيل:

القسم: التاريخ **الشعبة:** **التخصص** تاريخ الجزائر الحديث

إشراف: بقة بن رحال **الرتبة:** أستاذ محاضر أ

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2021-2022 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة): موافق

رئيس فريق الاختصاص

رئيس القسم

جامعة محمد بوضياف المسيلة ★ رئيس قسم التاريخ

لتحميل الوثيقة يرجى نسخ الرمز